مراد داؤد

طـي الـمـخـالـب . .

رواية

إ هـد ا ء . .

إلى رفيقة العمر الحبيبة ..

إلى أولادي الأعزاء ...

إلى رفاق دربي من أخوة وأصدقاء ...

مـقــدمــة

لا أستطيع أن أتصور أن كتاباً ما باللغة العربية بإمكانه صلب " إبراهيم فاضل " على كرسي المطالعة عشر ساعات ، وهو فوق حدود التوقيت ،قبل هذه الرواية الأخلاقية المبولسة تحت اسم " طي المخالب " ... رغم ضيق وقته وانشغاله بتحبير مؤلفاته التي تجاوزت 123 مؤلفاً بأكثر من لغة .

هذا الكتاب يمسك بالقارئ الذواقة ... فلا يترك تلابيبه إلا عندما يلوح مصطلح ...(تمت)..!

هذا هو مقياسي الفن الرشيق في الكتابة.

لكن الرواية تدخل في بساتين الحكمة (أقصد روايتنا هذه) لأنها درس تطبيقي ممنهج بحكمة لزفِّ الوظيفة على مسرح القول ..!

قرأت في شبابي الأول في أربعينيات القرن العشرين الكثير من روايات " موريس لابلان " الفرنسي و" أغاثا كريستي " الأمريكية–الإنكليزية وغيرها فلم اقع على مدخل كالشرك ومخرج كالجلاء.. وشريط متماسك رهيف ، مع شيء من شاعرية الوصف كما قرأت في رواية الكاتب المحلل والروائي " مراد محمد يونس داؤد " وهي العمل الرابع له ..

وأتنبأ له برفع رأس (سلمية) عالياً في مجال المسارح والتلفزة إذا ما أطلق خيوله في ميادين العرب .... وأرجو في ميادين غير العرب.

واطلب من أولاده (الثالوث الذكي) تكرار تلاوة قول جدهم " المتنبي ":

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

المعجب المحب

د. أبراهيم فاضل

سلمية

السبت 27 آذار 2010

أحداث هذه الرواية متخيلة وكأنها وقعت في بلد متوسطي تتربص به عين عدو قد قام بطي مخالبه بعد أن شحذها جيداً متحيناً الفرصة لينقض عليه .

المؤلف

ما إن دخلت أم ساهر الشقة صدمت بمرآه غارقاً بدمه لأنه كان قد قطع وريده وكانت إلى جانبه بضع زجاجات فارغة كل منها كانت تمد رأسها باتجاه استقرت به بعد أن قام بإلقائها كقطيع غنم شبع بعد مسير طويل فقرر الاستكانة حيث وصل و كل يمد رأسه إلى الأمام ملامساً سطح الأرض المعشوشب طلباً لاستراحة يستجمع من خلالها بعض ما استهلكه إبان سعيه

و كانت ساعة يده مرمية هي الأخرى بعد أن أوقفت قصداً

شهقت صائحة:

- يا ويلي ما الذي فعلته بنفسك, لم أقدمت على هذا ..!؟

- ما هو مصيري و مصير كل من حولنا؟ لم أوديت بنا إلى الهاوية التي ستسحق عظامنا؟ قالت هذا و هي تستدير خارجةً.

و في الطريق حدثت نفسها قائلة:

- كيف سأتصرف..؟ ما الذي عليّ فعله..؟ يجب أن أتمكن من ضبط أعصابي لأتحكم بزمام الأمور في الآتي من الأيام كي لا تلتهمنا ورثة زوجي؟

وصلت إلى المكان الذي أتت منه و كان جناحاً فاخراً يحتل الجزء الأيمن من بناية حديثة الطراز ضمت بالإضافة لمكتبها مكتب زوجها الذي يعدّ المقر الرئيسي لأنشط الشركات التجارية في هذه المدينة, التي كانت قد أسستها و عملت على تنشيطها مع زوجها.

فتحت باب المكتب و ألقت حقيبة يدها على أريكة جانبية و بكل خفة حملت سلسلة مفاتيحها و قصدت مكتبها المركون كعرش فخم في صدر تلك الغرفة التي كلفتها من الجهد و

المال القدر الكثير لتظهر على تلك الأبهة و الفخامة. أزاحت الكرسي الدوار قليلاً و من ثم جلست عليه. مدت يدها لتفتح الدرج الذي عاندها بدوره لأنها كانت قد أقفلته كعادتها.

- كيف نسيت ذلك ؟ قالتها و هي تفرك صدغها في محاولة منها لتركيز أفكارها و لو قليلاً لأنها أحست بانفلاتها على الرغم من قرارها باستلام زمام المبادرة و التحكم بكل شيء بشكل كامل كي لا تقع تحت ضغط أيٍّ من حولها, ولتكون يدها هي العليا في كل أمر دائماً.

مدت يدها و تناولت سلسلة المفاتيح من أمامها و فردتها على راحة يدها اليسرى ليتيسر لها عزل المفتاح الخاص بالدرج. وما إن أمسكته حتى وجهته ناحية القفل لتسمع تلك الطقطقات المألوفة عند حل عملية الارتاج.

سحبت الدرج بكل هدوء و هي تركز نظرها على محتواه بحثت قليلاً عن شيء ما , بقيت هكذا برهة من الزمن إلى أن ظهر على سطح تلك المحتويات دفتر صغير أشبه ما يكون بمفكرة عادية تستعمل لجمع أرقام الهواتف.

حملته بسرعة كمن وجد شيئاً ثميناً كان قد أضاعه منذ فترة

فتحته و بدأت بتقليب أوراقه في محاولة منها إيجاد شيء ما كانت قد فكرت به و غاب عن ذهنها

-ها..ها.. هذا هو . قالت ذلك محدثة نفسها ومن ثم و بكل هدوء بدأت تدون على قصاصة ورق من ورّاقتها بضع أرقام و بكل سرعة أغلقت الدرج و بعد أن أقفلته غادرت المكان قاصدة مكتب زوجها الكائن في الجهة المقابلة من المبنى الذي كان يعادل من حيث المساحة شقتين واسعتين و لحسن حظها كان مستخدم النظافة قد أوشك أن ينهي عمله بعد مغادرة الموظفين

فاجأه حضورها في هذا الوقت ... سألها مستفسراً :

-أهلاً سيدتي – هل من خدمة أقدمها لك ؟

-أهلاً يا عم محمود– شكراً لك تابع عملك – فأنا لدي عمل هام في مكتب زوجي سأنهيه و أغادر لذا ابق هنا حتى أنتهي فقد أحتاجك

-حاضر سيدتي – قالها و هو يتابع عمله في مسح أرضية الممر الفاصلة بين المكاتب

دخلت المكتب بعد أن قامت بفتحه بواسطة نسخة المفاتيح الخاصة بها

اتجهت فوراً نحو خزانة جانبية, حاولت فتح أحد أبوابها إلا أنه كان مقفلاً, عندها عادت إلى حيث يقبع مكتب زوجها و أزاحت الكرسي سحبت الدرج فوجدته هو الآخر مقفلاً , عندها تذكرت أن زوجها كان يحتفظ بنسخة إضافية من المفاتيح لكل الأقفال في زاوية الغرفة وضمن الإطار الخشبي لصورة جمعتهما معاً أثناء حضورهما حفلاً أقامه على شرفهما أحد الأصدقاء

حملت الصورة و عادت بها إلى الطاولة و قلبتها و بحركة كانت قد تعلمتها من زوجها فكت طبقة من الغلاف الخلفي و بالفعل كانت نسخة المفاتيح تقبع هناك .

حملت المفاتيح و عادت باتجاه المكتب و أثناء سيرها اختارت مفتاح الدرج. فتحت الدرج و سحبته و بدأت البحث عن شيء ما ، كان كل شيء يمر أمام ناظرها هكذا دون أن تلمح ذلك الشيء الذي تبحث عنه

أوقفت حركتها لبعض الوقت و من ثم عادت للبحث مرة ثانية و لكن بشيء من الهدوء و التركيز أخذت ترفع المحتويات ورقة ورقة إلى أن وجدت ضالتها و التي كانت عبارة عن مفكرة صغيرة اعتاد زوجها ترميز أرقام هواتفه و كذلك أرقام كل خزائن المكتب و التي كان قد قام بتعديلها إلى أقفال رقمية فيها

و لما لها من دالة عنده حيث أنها الزوجة الثالثة و الفتية التي ملأت عليه فراغ حياته, ذلك الإحساس الذي يمر به كل الرجال ممن تجاوزوا مرحلة الكهولة , فقد قام بتلقينها و تدريبها على فتح تلك الخزائن تحسباً لكل طارئ

و بالفعل غادرت مكانها قاصدة تلك الخزانة التي حاولت فتحها عند وصولها

فتحت خزنة صغيرة كانت قد ثبتت في صدر تلك الخزانة فوجدت ما كانت تبحث عنه وهو عبارة عن دفتر شيكات و عدد من مغلفات و دفتر متوسط الحجم جلدته سوداء و كان مغلقاً بواسطة كباس قوي ، حملت تلك المحتويات و وضعتها ضمن كيس وجدته في أرضية الخزانة. حملت كل شيء و اتجهت نحو مكتبها بعد أن قامت بإقفال كل ما كانت قد فتحته

جلست خلف مكتبها و بدأت بتفقد كل ورقة على حده و كانت أثناء ذلك تقوم بتسجيل ملاحظات على ورقة جانبية و كانت تفرز الهام منها على جنب و كذلك كانت تقوم بختم الضروري بالختم الموجود ضمن الدرج و الذي لا يستخدمه سوى زوجها فقط و لا سيما دفتر الشيكات الذي كان زوجها قد اعتاد توقيع وريقاته مسبقاً

و بعد أن أنهت كل شيء أقفلت الدرج و أعادت المفاتيح إلى مكانها و قامت بتعليق الصورة في مكانها المعتاد بعد أن أعادتها إلى وضعها السابق و الطبيعي و بعد كل ذلك قامت

بمسح كل ما كانت قد لمسته يداها بواسطة مناديل ورقية و لا سيما درج المكتب و الخزانة. جلست قليلاً طلباً للهدوء و بعدها قرعت الجرس بعد أن جلست على كرسي زوجها خلف المكتب . فتح المستخدم الباب بعد أن قرعه عدة مرات و قال:

-أنا تحت أمرك سيدتي

-اجلب لي فنجان قهوة , هل تستطيع ذلك ؟

-نعم سيدتي, و هل ستبقين طويلاً؟

-لم تسأل ؟

-كون الوقت قد تأخر و ستنشغل أسرتي عليّ

-لا عليك سأوصلك إلى مكان إقامتك أثناء عودتي اذهب و اجلب ما طلبته

- " حاضر " قالها و هو يغادر و بعد قليل عاد و هو يحمل صينية عليها فنجان قهوة و كأس ماء. وضع الفنجان و الكأس أمام السيدة و غادر

و ما إن انتهت من احتساء القهوة حتى طلبت ذاك المستخدم ليأخذ ما كان قد جلبه و يستعد للمغادرة . غاب طويلاً حيث قام بغسل الفنجان و الكأس و قال :

-أنا جاهز سيدتي

و في الطريق سألته أم ساهر :

-أين تقطن يا عم محمود ؟

-في الضاحية الشمالية

-هناك؟

-نعم

-أليست بعيدة عن مكان عملك ؟

-نعم كثيراً

-كم تعاني يومياً من الذهاب و الإياب ؟

-أعاني الكثير سيدتي

-هل تلك المنطقة مخدمة جيداً ؟

-بعض الشيء

-كم ولداً لديك ؟

-ستة

-كلهم تلامذة ؟

-نعم

-كيف تستطيع تدبير مصاريفهم ؟

-بالمساعدة مع زوجتي.. حماها الله

-و هل تعمل زوجتك أيضاً ؟

-نعم

-موظفة ؟

-لا, إنها تعمل في خدمة المنازل

-هل مردودها جيد ؟

-لا أخفيك سراً سيدتي فمردودها أكبر من مرتبي

-معقول.... !؟

-نعم سيدتي وكل ذلك بالإضافة لما تجلبه معها من أطعمة و ملابس و بعض الحاجات

-هذا يعني أنها تقوم على خدمة أناس أغنياء

-ليس دائماً

-شيء جميل أن تساعد المرأة زوجها و تتحمل معه أعباء الحياة

-نعم سيدتي فأعباء الحياة لا يستطيع شخص أن يتحملها بمفرده

-هل أنت سعيد بحياتك ؟

-الحمد لله سيدتي ما دامت صحتي و صحة زوجتي و أولادي قائمة كل شيء غير ذلك هينٌ

-معك حق, المهم أن تكون الصحة جيدة و كذلك راحة البال

-نعم صدقت, المهم راحة البال

-ها نحن عند مدخل الضاحية.. أين تسكن يا عم محمود؟

-أنزليني هنا لا داعي لأن تكلفي نفسك عناء إيصالي إلا إذا أكرمتني و أسرتي بزيارتك

-كلي رغبة بذلك و لكن لدي عمل هام يجب أن أنهيه و لكن أريد منك شيئاَ عدني بأن تنفذه

-أعدك سيدتي, ما هو؟

-أرجو عدم ذكر أي شيء يخص ما حدث في هذا اليوم لأي شخص كان و مهما كانت مكانته

-لماذا ؟

-لأن الشركة تتعرض في هذه الأيام لمؤامرة و أريد أن أحميها

-مؤامرة..؟!

-نعم و من أقرب المقربين

-من هم ؟

-الآن لا أستطيع البوح بأسمائهم و لكن إن نفذت ذلك سأكافئك

-كوني مطمئنة سيدتي فأنا اعتدت كتمان الأسرار هذه هي طبيعة عملي

-أحسنت يا عم محمود

-هنا سيدتي منزلي هناك القابع في صدر تلك الحارة الضيقة, ألن تغيري رأيك و تشرفينا بزيارتك

-أعدك بذلك و لكن بعد أن أنهي كل ما ذكرت لك خذ يا عم محمود , هذا مبلغ بسيط اشتر به شيئا لعائلتك

-لا داعي سيدتي فأنا أعوم بخيركم

-لا عليك خذ و لا تتردد هذه مكافأة مقابل تأخيرك

-العفو سيدتي فأنا تحت أمرك دائماً

-مع السلامة يا عم محمود

-مع السلامة سيدتي رعاك الله

تابعت سيرها لمسافة إلى أن وصلت إلى ساحة صغيرة استدارت و عادت و أثناء ذلك حدثت نفسها قائلة:

-الآن عليك إرسال الشيكات إلى صفوان في بيروت ليتمكن من صرفها في الحال.

أمام مكتب الشحن تقدمت أم ساهر و هي تحمل طرداً قامت بإغلاقه جيداً و بعد أن دونت عليه اسم و عنوان المرسل إليه سلمته إلى موظف مع بدل الإيجار و عادت بعد أن أكد لها ذاك الموظف وصول الطرد مساءً إلى بيروت كون الحافلة المغادرة إلى هناك آن أوان مغادرتها

-شكراً لك أستاذي الكريم

-أهلاً بك سيدتي فنحن في خدمتك دائماً

-إلى اللقاء

-مع السلامة

أثناء ذلك و بعد مغادرتها مقر ذاك المكتب ركنت سيارتها بمحاذاة الرصيف و قامت بالاتصال بصفوان عبر هاتفها النقال

-مساء الخير صفوان

-مساء الخير ابنة العم

-لقد أرسلت لك طرداً الآن عبر مكتب الفضاء الخارجي أرجو منك فور استلامه قراءة الرسالة المرفقة و تنفيذ ما طلبته بدقة متناهية و بالسرعة الكلية

-حاضر و لكنك شغلت بالي , ما الأمر؟

-بعد نصف ساعة اتصل بي إلى مكان إقامتي و سأبلغك بكل شيء

-حسناً مع السلامة

-إلى اللقاء أنتظر مكالمتك

-حاضر

غادرت المكان قاصدة بيتها الكائن وسط إحدى ضواحي العاصمة الراقية. دخلت منزلها و هي تحمل ذلك الكيس و قصدت غرفة المكتب بعد أن وضعت ما كانت تحمله على أريكة جانبية، توجهت نحو الحمام و استحمت طلباً لاسترخاء عز حصوله إلا أنها فرضت ذلك قسرياً كون أعصابها كانت في ذروة انشدادها

دخلت غرفة نومها و هي ترتدي إزاراً بشكيرياً و كذلك تلك المنشفة التي لفت بها رأسها جيداً. جففت شعرها و بدلت ثيابها و غادرت إلى حيث تركت ذاك الكيس ، حملته و اتجهت

نحو غرفة المكتب و قامت بإفراغ محتواه على سطح الطاولة و من ثم أخذت بفرز الأوراق ورقة ورقة و بكل تأن كانت تركنها جانباً

بقيت هكذا حتى رن جرس الهاتف ، تركت ما كان بيدها و رفعت السماعة و كان على الطرف الآخر صفوان

-مساء الخير أم ساهر

-مساء النور صفوان

-لقد شغلتني , ما الذي حدث ؟

-حدث مالم يكن بالحسبان

-خيراً إن شاء الله

-لقد انتحر أبو سامح

-ماذا...؟!

-كما ذكرت لقد قام بقتل نفسه ظهر هذا اليوم

-أتنطقين بصدق ؟

-نعم هذا ما حدث

-تقولينها هكذا.. يا لبرودة أعصابك !

-علينا التحكم بأعصابنا في هكذا ظروف و إلا سنغرق و يجرفنا التيار

-أحسدك على جسارتك هذه

-هذه هبة من الله , المهم يا ابن العم لقد أرسلت لك طرداً يحتوي دفتر شيكات موقعة و مختومة بتاريخ سابق عليك القيام بصرفها فوراً و لمجرد وصولها إليك, و وضع المبالغ في حسابك ريثما تنتهي هذه المشكلة

-حاضر.. و هل المبلغ كبير

-نعم رصيد زوجي تقريباً

-ما الذي ستفعلينه الآن ؟

-بعد أن أرتب كل شيء سأبلغ الجميع بالأمر ليبدو الأمر طبيعياً و حسب الأصول

-هل تحتاجينني في شيء, أستطيع القدوم فوراً إن أردت

-لا .. لا داعي لذلك, لأنه من الأفضل أن تبقى هناك كون ما نقوم به و سنقوم به لاحقاً هاماً جداً

-معك حق, قلبي معك, أكرر إن احتجت لأي أمر اتصلي بي فوراً

-لا عليك إلى اللقاء

أغلقت الهاتف و تابعت عملها حيث قرأت عدة أوراق بشكل روتيني إلى أن وقعت بيدها ورقة شدت انتباهها أعادت قراءتها عدة مرات و من ثم ركنتها جانباً و هي تلوح برأسها استغراباً.

و بعد أن اطلعت على محتوى عدة أوراق لفت انتباهها ورقة ثانية قرأتها عدة مرات و وضعتها فوق رفيقتها بقيت هكذا حتى صار عدد الأوراق خمسة عندها وضعت كل الأوراق داخل الكيس و أغلقت فوهته جيداً و ركنته جانباً و التفت نحو تلك الأوراق الخمس أعادت قراءتها مرة أخرى و كانت في هذه المرحلة تقوم بفرز الضروري و الهام منها و وضعه جانباً حتى صار العدد ثلاث ورقات و أثناء ذلك كانت تدون على ورقة جانبية بعض الرموز التي كانت تمر بها أثناء قراءتها

و في النهاية و بعد كل ذلك كانت المحصلة مجموعة رموز و أرقام بلغت سبعة أسطر

حملت الورقة و غادرت حيث الأريكة الكبيرة و استلقت عليها مسندة رأسها على المسند الجانبي و رفعت الورقة إلى أمام وجهها و أعادت قراءتها محاولة فك تلك الرموز

-كم أنت داهية يا أبا سامح.. قالتها محدثة نفسها

-معك حق , لا أستطيع لومك كون من يحيطون بك من زوجات و أولاد يلزمك هذا الحذر و تلك الحيطة و لتتمكن من الإلمام و الإمساك بكل النواحي... لكن أحمد الله على أنك فيما مضى قمت بتلقيني بعضاً من تلك الرموز و آلية فكها و لكن ما أراه هنا جديد عليّ كل الجدة, هل بدلت رموزك أم أنك صرت تحسب ليّ الحساب, على ما يبدو و كما أظن أن ثقتك بي بدأت تهتز , هذا ما ألمسه حالياً و ما يعزز شكي هذا تلك الرزمة الجديدة من الرموز لكن لا يهم, سأتمكن من حل هذه المعضلة و سأفك تلك الرسالة المشفرة بعون الله المهم الآن أن أقوم بالإجراءات القانونية لأنه يجب أن أذهب إلى المنزل حيث مات أبو سامح و من هناك أجري كل الاتصالات ليكون الأمر لمن يراه و يسمعه طبيعياً و عادياً و بالأخص لدى أفراد الأسرة

غادرت شقتها بعد أن قامت بإخفاء كل ما أحضرته من مكتب زوجها في جيب سري كان زوجها قد صممه لها أثناء تصنيع الخزانة و قامت بإغلاقه و تمويهه جيداً. وما أن صلت الشقة حتى طلبت شرطة النجدة و كذلك الإسعاف و من ثم اتصلت بأرملتيه لتبلغهما بهذا النبأ المفجع

-من أول من شاهد الحادث؟... قالها المحقق

-أنا سيدي

-و من تكونين ؟

-زوجته الثالثة

-و هل الاثنتان الأخريتان على قيد الحياة ؟

-نعم و كلتاهما هنا

-من أبلغهما بالحادث ؟

-أنا

-ها .. ها .. قالها و هو يمط شفتيه استهجاناً لمتانة أعصابها وقوة نبرتها

-هل رفعتم البصمات؟... قالها موجهاً كلامه لخبير الأدلة الجنائية

-نعم سيدي

-هل حضر الطبيب الشرعي ؟

-نعم و هو يقوم بإجراءاته حالياً

-ممتاز.. قوموا بتصوير الموقع بشكل دقيق و من ثم ارفعوا كل شيء بحذر

-حاضر سيدي

-قولي لي يا سيدتي هل كان المنتحر يسكن هنا بمفرده ؟

-نعم.. في بعض الأحيان

-يعني أن لكل منكن سكنها الخاص ؟

-نعم

-لماذا اتخذ هذا المسكن ليكون مقراً مستقلاً عن مساكنكن ؟

-كما برر لنا أنه اتخذ هذا المنزل مكاناً لاستقبال ضيوفه و لا سيما الأجانب منهم

-هل كان يستضيف أناساً كثراً هنا ؟

-في كثير من الأحيان كون أعماله تتطلب القيام بذلك

-ما كانت طبيعة عمله ؟

-كان من أكبر التجار ولا سيما في مجالي الاستيراد و التصدير

-ما المواد التي كان يتعامل بها ؟

-كل شيء

-كل شيء! .. قالها باستغراب و من ثم استدار ليكلم معاونه:

-اقترب مني يا غسان

-أمرك سيدي

-فتش المنزل جيداً, أكرر جيداً

-حاضر.. قالها و غادر

-من تكونين سيدتي ؟

-أنا زوجته الثانية أم سامح

-أم سامح..؟!

-نعم

-كيف تكونين أم سامح و أنت الثانية؟

-لأن زوجته الأولى صفاء لم يرزقها الله ذكوراً فلديها ابنتان فقط

-أين تقيمان ؟

-هما متزوجتان خارج البلد

-كم ولد لديك ؟

-ثلاثة صبيان و بنت

-كم يبلغون من العمر ؟

-الكبرى شذا اثنان و عشرون و سامح تسعة عشر و شادي في الثانوية

-أين تقيمون ؟

-في منزلنا, الكائن في الضاحية الجنوبية

-متى رأيت زوجك آخر مرة ؟

-منذ يومين حيث أمضى نهاره و ليله

-هل كان عادلاً فيما بينكن ؟

-في كثير من الأحيان و بالأخص عندما يتواجد في البلد

-هل كان يشكو من مرض معين ؟

-لا

-بتاتاً ؟

-نعم و أستطيع تأكيد ذلك

-كيف ؟

-لأنه كان يسخر من كل شخص يسارع لزيارة الطبيب كلما شعر بأي وعكة مهما كانت بسيطة

-يعني أنه كان تام الصحة ؟

-نعم

-ما تفسيرك لما قام به ؟

-لا تفسير لدي

-نهائياً ؟

-نعم نهائياً

-استريحي و توجه إلى الزوجة الأولى و التي كانت تلتزم الصمت و الدموع تسح على خديها بغزارة و قام بطرح كل الأسئلة السابقة تقريباً و تركها كونه لمس البساطة و الطيبة فيها, توجه إلى الزوجة الثالثة أم ساهر :

-قولي لي سيدتي

-أنا ؟

-نعم بم أستطيع مناداتك ؟

-أم ساهر

-كم ولد لديك ؟

-واحد سيدي و اسمه ساهر

-كم عمره ؟

-خمسة أعوام

-أين هو الآن ؟

-يقيم في مدرسة داخلية

-لم لا يقيم معك ؟

-لا وقت لدي للاعتناء به حيث أنني ناشطة في ميدان التجارة

-معقول!... طبعاً .. ولكن قولي لي متى رأيت زوجك آخر مرة ؟

-يوم أمس عند استقبالنا وفداً أجنبياً في أحد المطاعم

-من حضر ذاك الحفل بالإضافة لكم ؟

-عدة أشخاص من الأصدقاء

-اذكري أسماءهم و عناوين سكنهم للكاتب, قالها و هو يغادر باتجاه غرفة جانبية كان معاونه يقف ببابها و هو ينظر إليه كمن يريد محادثته

-هل وجدتم شيئاً ؟

-حتى الآن.. لا سيدي و لكن يساورني شك بأن السر يكمن هنا في هذه الغرفة

-لم تقول ذلك ؟

-لا أدري لكني سأبذل جهدي لكشف الخفايا.

في هذا الوقت كانت أم ساهر تشيعه بنظرها و تحدث نفسها

-يا لدهائه..! كل شيء فيه يدل على المكر و الدهاء من جبهته العريضة و عينيه الضيقتين بالإضافة لشفتيه الرقيقتين كل ذلك في كفة و نظرته الثاقبة التي ترافق أسئلته في كفة أخرى...

هزت رأسها و تحركت قاصدة أريكة فارغة و جلست عليها و هي تراقب كل التحركات بصمت و كانت ترمق قرينتيها بين الحين و الآخر بنظرات شبه غامضة

-قلي يا بني هل فتشتم كل شيء هنا ؟

-نعم سيدي و لكني أشك في تلك الخزانة

-ما مصدر شكك ؟

-لا أدري, لكني سأعاود تفتيشها ثانية آملاً أن أجد ما يبدد شكوكي

-قم بما عليك و لا تترك شيئاً خلفك, قالها و هو يغادر

-حاضر سيدي

-قل لي يا دكتور ، هل لاحظت ما يريب ؟

-سأدون كل ملاحظاتي في التقرير الذي سأقدمه لكم

-حسناً.. قالها و هو يسعى نحو المطبخ

في المطبخ, وقف المحقق وسط الفسحة الكائنة بين المجلى و طاولة الطعام و أخذ يجول بنظره على كل متعلقات المكان مدققاً بكل شيء آملاً أن يلفت انتباهه أي شيء

و بالفعل لاحظ أن باب إحدى الخزائن كان مواراً بعض الشيء .. تقدم و أمسك بقبضته بواسطة منديل ورقي و كانت دهشته الواضحة برؤية هذا العدد الكبير من الزجاجات و التي كانت تحوي سوائل و من ألوان عدة

مد يده و أمسك بإحداها و كانت شبه فارغة إلا من سائل قليل مال لونه إلى الحمرة .. فتح السدادة و قربها من أنفه ليشم محتواها.. هز رأسه كونها كانت تحوي شراباً يحتل المرتبة الأولى من قائمة المشروبات المفضلة لديه

-كان من أصحاب الذوق الرفيع . قالها محدثاً نفسه

أعاد الزجاجة إلى مكانها و غادر و أثناء ذلك مر بالقرب من الثلاجة.. توقف فجأة و استدار نحوها و قام بفتح بابها ليجدها عامرة بما تشتهيه نفس كل إنسان فما بالك بإنسان من أصحاب الكيف أمثاله كما يقولون

تفقدها بنظرة بكل هدوء و دقة ثم قام بإغلاقها و تابع طريقه إلى حيث كان معاونه .

-هل من جديد ؟

-حتى الآن لا يا سيدي

-حسناً ..... قالها و هو يحاول فتح باب الخزانة الأوسط عندها تقدم منه المعاون و قام بذلك و بدأ بإفراغ محتوياتها بكل دقة و روية, كان يقوم بترتيب كل المحتويات على الأريكة إلى أن أفرغها تماماً, ثم وقف لثوان و هو ينظر إليها و المحقق يراقبه.

و فجأة تقدم و دخل إلى قلب تلك الدرفة و بدأ يطرق بكفه على خشب خلفيتها بهدوء ناقلاً مكان الطرق إلى أن استقرت أصابعه على مكان كان صدى قرعاته مختلفاً عن صدى بقية الأماكن

وقف المحقق شابكاً ساعديه و ممسكاً بذقنه و هو ينظر إلى معاونه الذي كان يحاول إزاحة لوح الخشب الذي يستر ظهر الخزانة

و بالفعل تمكن من ذلك بعد عناء , و كان دهشتهما الكبرى عندما رأيا ذاك المخبأ السري الذي يخفي أشياءً أراد صاحب المنزل إبعادها عن نظر كل من حوله دون استثناء

تقدم المحقق أكثر ليرى بوضوح ذاك المخبأ فرآه عبارة عن حجرات منفصلة عن بعضها بألواح خشبية بشكل عرضاني و كل منها تحوي شيئاً

بدأ المعاون يفرغ محتوياتها ولكن بكثير من الحذر وكانت تحتوي على مجموعة من الأوراق و مفكرتين و سلسلة مفاتيح بالإضافة لعلبة صغيرة , فتحها فوجدها تحوي ماسة كبيرة الحجم و تحتها كانت توجد ورقة طويت بشكل جيد.. سحبها المحقق و قرأ ما كتب فيها فوجدها عبارة عن إيصال سجل عليه اسم المالك و مواصفات الماسة و كان اسم المالك غريباً عن تلك الأسرة بالإضافة لختم محل المجوهرات

أعاد طي الورقة و وضعها مكانها ثم أغلق العلبة و ركنها بجانب بقية المحتويات و توجه للمعاون قائلاً :

-تحفظوا على كل ما وجد هنا ليتم دراسته بشكل جيد و بالأخص المفكرات

و عندها حضر الطبيب الشرعي وقال :

-لقد انتهيت من عملي هنا, و يجب نقل الجثة إلى المشفى ليتم تشريحها حسب الأصول

تلفت المحقق نحو المعاون مستفسراً إن كان لديه أي مانع من نقل الجثة فوجده موافقاً عندها أمر بإتمام الأمر و كذلك طلب من كل الحاضرين البقاء قليلاً ريثما يستكمل استجوابهم

أغلق المعاون أبواب الخزانة و من بعدها باب الغرفة و وضع المفتاح في جيبه كي لا يدخل أحد و يعبث بالمحتويات

أثناء ذلك توجه المحقق إلى أم سامح قائلاَ :

-أين أولادك سيدتي ؟

-إنهم يمضون بعض الوقت في الشاليه الخاص بنا على ساحل البحر

-متى غادروا العاصمة ؟

-منذ ثلاثة أيام

-هل استخدموا سيارة نقل عامة أم سيارة خاصة ؟

-بسيارتنا الخاصة

-أبلغي الكاتب بعنوان الشاليه و رقمه و كذلك أرقام الهواتف المحمولة لأولادك

-حاضر سيدي, هل ستستدعونهم في الحال ؟

-ليس الآن, و أرجو عدم إخبارهم بما حدث لوالدهم

-لماذا, أليس من الواجب إخبارهم ؟

-نعم و لكن يفضل إرجاء الأمر قليلاً على الأقل حتى صباح الغد

-كما تريد سيدي, هل نستطيع المغادرة ؟

-نعم و لكن كل منكن إلى منزلها و لا تغادره حتى نستدعيها

-حاضر

-ممتاز قالها و هو يغادر المكان و أثناء ذلك قام المعاون بتعيين حرس للشقة بعد أن أغلقها بالشمع الأحمر

في مكتب الأمن. جلس المحقق على كرسي أمام طاولة. عرّفت بمكتب: رئيس التحقيق الجنائي . بكل رزانة و هدوء و مد يده إلى جيب سترته المعلقة على رأس الكرسي و أخرج علبة التبغ وسل منها لفافة . و من ثم قام بطرقها عدة طرقات على أسفلها لتظهر رؤوس السجائر فسحب واحدة قليلاً و مد يده بالعلبة لرئيس التحقيق كعادة كل المدخنين

سحب رئيس التحقيق السيجارة و بدأ يدعكها بأنامله بينما أعاد المحقق العلبة و أخرج قداحة معدنية لماعة و مزخرفة بإتقان– أشعل سيجارة رئيسه و من بعدها سيجارته و أعادها إلى مكانها بعد أن مص نفساً عميقاً و نفخه بقوة عالياً كمن ينفث هماً رابضاً على صدره لفترة , قام بكل ذلك و هو يرمق رئيس المكتب مدققاً بانفعالاته كونه صار من الأشخاص المعروفين تماماً لديه لدرجة صار معها يستطيع قراءة أفكاره و كل ما يدور بخلده من انعكاس حركاته بدءاً من حركة جسده على الكرسي حتى حاجبيه ناهيك عما يصدر عن أصابعه من أصوات عندما يبدأ بالقرع على كل ما تقع عليه يداه بشكل رتيب قرعات تنم عن شرود متحكم

-قل لي يا أحمد : هل ما وجدناه في الخزانة يفيد بشيء ؟

-في مجال عملنا كل شيء مهم كما تعلم سيدي لذا ترانا لا نهمل أي دالة أو قرينة

-ربما و لكن ما يشغل بالي حالياً هو تلك الماسة

-و أنا كذلك

-ما رأيك بأن نسلك هذا الدرب في البداية ؟

-أنا لست من رأيكم سيدي

-لماذا ؟

-لأننا يجب أن نقوم بدراسة دقيقة لحياة المنتحر الشخصية

-هذا ما سنقوم به لاحقاً

-نعم و لكن إن أخّرنا ذلك سنكون قد أفسحنا المجال للجميع كي يلتقطوا أنفاسهم و أنتم تعلمون كم هي هامة لحظات الصدمة للمحقق

-ربما لكن أكاد أجزم بأن تلك الماسة هي مفتاح الحل

-لم تصر على ذلك سيدي ؟

-لأن ابو سامح قد قام بإخفائها بتلك الطريقة

-لم لا تسأل عن مجموعة المفاتيح ؟. ألم تكن مخبأة بنفس المكان ؟

-لم أنسها لكني حصرت تفكيري بتلك الماسة كوني وضعتها في المقدمة و على رأس أولويات التحقيق

-قد يكون حدسك صحيحاً لكن سياسة التحقيق تلزمنا بسلوك طريق البحث الاجتماعي للمغدور و عائلته و كذلك كل المحيطين بهم

-هل وضعت الجميع تحت المراقبة ؟

-نعم

-ممتاز

في منزل أم ساهر كان الوقت قد تجاوز العشاء بقليل جلست السيدة في غرفة المكتب و هي تسند خدها على يدها ساهمة تسبح في بحر أفكارها المتلاطمة

هزت رأسها بشيء من الإعياء و مدت يدها بعد أن سحبتها من تحت ذقنها و قامت بشبك كفيها و مدتهما إلى الأمام طلباً لاسترخاء و لو لفترة قصيرة

وبينما هي بحالتها هذه رن جرس الهاتف. أجفلها الصوت فكت تشابك يديها و استدارات بكل جسدها و هي تنظر إلى جهاز الهاتف الرابض أمامها على الجهة اليسرى من الطاولة

مدت يدها بعد أن تمالكت بعض الشيء و رفعت السماعة و وضعتها على أذنها و قالت

-نعم ..

-مساء الخير يا ابنة العم

-أهلاً صفوان

-طمئنيني كيف سارت الأمور ؟

-حتى الآن كل شيء عادي

-هل أبلغت عن الحادث ؟

-نعم

-كيف كانت ردة فعل قرينتيك ؟

-وقع الخبر عليهم كوقع الصاعقة

-هل حققوا معك ؟

-نعم و مع قرينتي

-و هل أفضت تلك الجولة إلى شيء ؟

-لا شيء حتى الآن لكنهم فرضوا علينا الالتزام ببيوتنا إلى أن يقوموا باستدعائنا

-لا بأس

-هل استلمت الأمانة ؟

-نعم

-حسناً قم بتنفيذ كل ما طلبته غداً صباحاً

-لا عليك سأقوم بذلك

-تمام الآن أستطيع أن أطمئن على نفسي تماماً

-كوني مطمئنة فأنت بحماية ابن عمك

-أبقاك الله لي سنداً في هذه الحياة

-إن شاء الله أكون عند حسن ظنك

-هذا أملي بك دائماً

-حسناً إلى اللقاء

-مع السلامة .... و أغلقت الهاتف و عادت لشرودها إلى أن لفت انتباهها ذاك الكيس الملقى على الأريكة عندها قامت من وراء مكتبها قاصدة الأريكة ، حملت الكيس و عادت لتقوم بإفراغه على الطاولة ثانية.

بدأت بالبحث من جديد إلى أن وقعت بيدها تلك المفكرة المميزة حملتها بيدها و فتحتها و باشرت بتقليب أوراقها ورقة تلو الأخرى و كانت تقرأ كل ما كتب بلا مبالاة إلى أن أوقفتها عبارة لم تستطع فهمها

أعادت قراءتها عدة مرات دون جدوى.. عندها قامت و قصدت خزانتها الخاصة و جلبت دفتراً صغيراً قلبت صفحاته لتتوقف عند صفحة محددة.

قرأت ما دون فيها بإمعان و من ثم مدت يدها و تناولت القلم من المقلمة و بدأت بترتيب أحرف تلك العبارة بعد أن قامت بتقطيعها ثم رتبت تلك الأجزاء على الرموز الموجودة في الدفتر لتحصل على رقم معين . فتحت صفحة جديدة من الدفتر و قارنت ذاك الرقم مع ما هو مكتوب لتحصل على جملة مفادها أن عليها الذهاب إلى مكتب البريد و تضع الرقم السري الذي ظهر ليفك شيفرة صندوق البريد الخاص بزوجها...

دونت الرقم على ورقة و قامت بطيها بتأن ثم دستها في طية زنارها و بعدها عادت إلى مكانها لتتابع ما كانت قد بدأت به و كلها تصميم بأن تقوم بزيارة ذاك المركز و فتح تلك الخزانة و معرفة ما كان قد أخفاه فيها زوجها و بينما كانت تعيد ترتيب محتويات الكيس لفت انتباهها سلسلة المفاتيح الفارغة و كأن شخصاً ما قام بنزع كل ما كان قد علق بها

رفعتها بيدها و راقبتها جيداً في محاولة منها لتذكر صاحبها و إن كانت قد رأتها سابقاً... فتحت عينيها على وسعهما و هزت رأسها كعلامة تأييد

-نعم رأيتها ولكن أين و مع من ....؟

-أين رأيتها يا أم ساهر..؟ أين..؟ أين و مع من..؟ نعم الآن تذكرت.. كانت مع السائق أبو سرحان كان دائم التلويح بها و لفها على سبابته أثناء شروده لكن أين ذهبت مجموعة المفاتيح التي كانت معلقة بها و التي كانت كثيرة على ما أظن... نعم كانت أكثر من خمسة أستطيع الجزم

هذه مهمة أخرى عليّ التحقيق بها و لكن بعد الانتهاء من موضوع صندوق البريد : قالت ذلك و هي تغادر المكتب باتجاه غرفة نومها آملة أن تحظى بفرصة استرخاء...

و في نفس الوقت كانت كل من أم سامح و صفاء تفكران كل حسب منبتها و طبيعتها ، حيث جلست صفاء في غرفة الاستقبال و الخادمة تقف بجانبها بوجل.. آملة أن تستطيع القيام بأي شيء من شأنه التخفيف عن سيدتها

-هل أحضر لك شيئاً سيدتي ؟

-لا.. شكراً أم عبدو.. اذهبي و نامي

-كيف أنام و أنت هكذا ؟

-لا عليك .. أنا أرتب أفكاري قليلاً

-أشركيني بما تفكرين به علّني أساعد بشيء

-لا تستطيعين فعل شيء لذا آمرك بالذهاب

-حاضر: و لكني لن أنام قبل أن أتأكد من خلودك للنوم

-حسناً مع السلامة

-تصبحين على خير

-و أنت كذلك

كيف ستتلقى بناتي هذا الخبر و هنّ في بلاد الغربة ؟ كان الله في عونهنّ: هذه نهاية من يمد يديه و أرجله في كل مكان و كل اتجاه.. صحيح لقد صدق المثل القائل "أجري جري الوحوش غير رزقك ما تحوش"

ما الذي جنيته يا أبا سامح أليس من الأفضل لك لو كنت قد اتزنت بأعمالك و ترويت بأفعالك ؟ ها أنت أوقعتنا في مطبات لا طاقة لنا و لا حيلة بالخروج منها.

رغم عدم إلمامي بأي شيء مما يحصل لكني على أتم الثقة بأنك ممن يتهورون بأفعالهم و أن بعض أعمالك غير نظيفة أجارني الله و بناتي من ذيول ذلك

أما أم سامح فقد اتجهت نحو الصالة بخفة و اجتازتها بشكل عرضاني و هي تقصد الطاولة التي ثبت عليها جهاز الهاتف في محاولة منها إبلاغ أولادها بالأمر

رفعت سماعة الهاتف و حاولت كبس الأرقام إلا أنها توقفت , متذكرة تحذيرات المحقق..

أعادت السماعة و قالت محدثة نفسها هل سأتركهم هكذا ؟ ما هذه البلية يا إلهي ؟

و أثناء مغادرتها الصالة باتجاه غرفة نومها صادفت الخادمة و كانت تفرك عينيها

-هل حضرت سيدتي ...؟ قلبي معك فمصابك كبير كان الله في عونك على الآتي من الأيام

-شكراً يا منى.. هل اتصل الأولاد ؟

-كلا سيدتي

-اذهبي و نامي

-تصبحين على خير سيدتي

-و أنت كذلك – قالتها و هي تدخل غرفة نومها لتباشر تبديل ثيابها كالعادة و لكن هذه المرة كان فكرها شارداً

-لا يجوز إخبارهم الآن : المحقق على حق , و لكن إن اتصلوا ماذا سأقول لهم ؟ حسناً إنهم لم يقوموا بذلك و من الآن حتى الصباح سنجد ألف حل و اندست في فراشها

و لكن ما إن استرخت قليلاً حتى داهمتها سيول الأسئلة التي عملت جاهدة على إبعادها منذ سماعها ذاك النبأ المفجع

-لم فعل ذلك ؟ هل كان محبطاً ؟ أم كان في قمة سعادته لأن من يقدم على فعلة كهذه ؟

بكل تأكيد يجب أن يكون قد وصل إلى الذروة في كلا الأمرين: اليأس و ذروة السعادة و هما نقطتان تشكلان البداية و النهاية لدائرة الحياة لذا فهما تلتقيان من حيث لا تدريان و بالنتيجة تكون كل المشاعر قد وصلت إلى نقطة الصفر التي عندها يغيب العقل تماماً و يحدث ما يحدث و لكن بكل أسف لا يستطيع العودة من يصل إلى ذلك المستوى لأن الأوان قد فات و كل شيء يكون قد ذهب سدى

– ترى في أي الحالتين كنت يا رفيق العمر...؟ أرجو أن تكون ممن قتلتهم السعادة.. لأني وقتها أستطيع تعزية نفسي ، أما إن كان العكس فأي ويل سأعيشه من بعدك لأن ما ستجره

علينا فعلتك هذه سيكون كارثياً بكل تأكيد.. قالت ذلك و هي تنظر إلى الثريا المعلقة فوق السرير , عند ذلك مدت يدها و أدارت مفتاح النور لتغرق الغرفة بالظلام و تغطس هي كذلك في هذا اليم القاتم كمن زلت قدمه ليقع في فوهة بركان عملاقة ليكتشف أنه بركان هامد لكنه واسع جداً و مجهول الأبعاد تماماً.

لم تستيقظ إلا على صوت خادمتها منى و هي تهزها من كتفها

-سيدتي استيقظي.. بسم الله الرحمن الرحيم

فتحت عينيها و كان العرق قد بلل جسدها كله

-صباح الخير سيدي المحقق

-أهلاً

-أنا أم ساهر زوجة المرحوم أبو سامح

-أهلاً و سهلاً سيدتي: خيراً إن شاء الله هل من جديد ؟

-لا و لكني أريد أن أستأذنك: عليّ المغادرة لعيادة والدتي المريضة كوني أشرف على علاجها بنفسي

-هل هي بمفردها هناك ؟

-لا عندها خادمة و ممرضة

-ألا يستطيعون القيام بذلك ؟

-نعم و لكن لن أكون مطمئنة

-حسناً يمكنك الذهاب لكن لا توسعي دائرة جولتك

-حاضر سيدي

-غادرت المنزل بعد أن أخذت كل ما تحتاجه وكذلك حزمت خصرها بذاك الزنار المميز و الملائم للون فستانها الخمري الغامق

و ما إن غادرت بسيارتها حتى خرجت سيارة خلفها من زاوية قصية و تابعتها من بعيد و كان يجلس إلى جانب السائق شخص كانت علامات التعب بادية عليه كونه و زميله أمضيا ليلتهما يراقبان شقة أم ساهر

-أين تتجه..؟ قالها السائق

-لا أدري و لكن و الله أعلم إنها تقصد وسط المدينة

-ما الجهة التي تقصدها ؟

-لا أدري و لكن إن صبرنا سنعرف

-ما هذا !؟ إنها تسلك الدرب الذي يعبر النفق

-و ما الغريب في ذلك ؟

-المستغرب هو سرعتها تلك

-قد تكون من هواة القيادة بسرعة

-ربما !

-انظر إنها تسلك الشارع الذي يتفرع باتجاه الغرب

-الحق بها و لكن من بعيد و احرص على أن لا تفقدها

-لا عليك فأنا أراها جيداً

-ممتاز

-انظر إنها تقف أمام ذاك المبنى

-اقترب قليلاً... ها.. ها .. هذا فرع رقم /1/ من دائرة البريد أسرع و حاول أن تتوقف بالقرب من سيارتها لأتمكن من ملاحقتها

-حاضر

و ما إن غادرت سيارتها حتى صار الشخص المرافق للسائق خلفها تماماً دخلت المبنى بكل رزانة , و ما إن صارت داخل البهو حتى قامت برفع نظارتها و هي تقصد باباً جانبياً كان نصفه العلوي من الزجاج

قرعت على الزجاج بسلسلة مفاتيحها و انتظرت قليلاً حتى حضرت موظفة أنيقة .. سلّمت عليها بحرارة و اقتادتها إلى الداخل.

أثناء ذلك استغل المراقب الظرف و تسلل داخلاً و تصرف كمراجع عادي توغل أكثر إلى أن صار أمام قاعة حوت المئات من صناديق البريد

اقتادت الموظفة أم ساهر إلى الصف الثالث من جهة اليمين و أشارت لها نحو خزانة محددة و غادرت بعد أن بادلتها التحية

توجهت أم ساهر إلى تلك الخزانة بخط مستقيم دون أن تلتفت وراءها

و ذاك الرجل كان يراقب كل شيء من خلف الصف الأول من صفوف تلك الخزائن

و ما ن صارت قبالة الخزانة , حتى تلفتت ذات اليمين و ذات الشمال و عندما لم تلحظ ما يريب.. مدت يدها تحت حزامها و أخرجت ورقة و فتحتها

عند ذلك اقترب الرجل أكثر في محاولة منه تسجيل رقم الخزانة وإن تمكن معرفة الرقم السري

رفعت الورقة إلى قبالة عينيها و أخذت تضغط على أزرار القفل ببطء كمن يقوم بهذا العمل لأول مرة و بالفعل كانت هذه أول مرة تقوم بها بفتح تلك الخزانة و لولا صديقتها رغداء التي كانت تربطها و بزوجها علاقة صداقة لا تخلو من المصلحة لما تمكنت من معرفة رقم و مكان الخزانة

لم يتمكن الرجل من تسجيل الرقم السري إلا أنه حفظ رقم الخزانة فتحت باب الخزانة و أفرغت محتوياتها ضمن كيس أخرجته من حقيبة يدها .. و بعد ذلك أعادت قفل الخزانة كما فتحتها و غادرت المكان دون أن تمر بصديقتها رغداء

تبعها الرجل و ما أن صار داخل السيارة حتى فتح جهازه و أبلغ رئيسه بما رآه و أغلق الجهاز و هو يقول حاضر سيدي التفت نحو السائق و قال

-الحق بها

-حاضر

في منزل أم سامح استغلت الخادمة منى الظرف المضطرب الذي تمر به الأسرة ولاسيما أم سامح التي خلدت للنوم

لجأت إلى غرفتها الكائنة عند مدخل المنزل و القريبة جداً من المطبخ ليتيسر لها تلبية طلبات أهل المنزل

أغلقت باب غرفتها بعد أن تأكدت من أن سيدتها قد خلدت للنوم أو على الأقل قد استرخت تماماً و كانت قد تيقنت من ذلك عندما سمعت صوت جهاز التسجيل و هو يصدح بذاك الصوت الهادئ الذي تعودت أم سامح النوم عليه

رفعت منى السماعة و أدارت الرقم بشيء من الارتباك و بعد انتظار رد على الطرف الآخر الابن الأوسط شادي حيث طلبته على جهازه النقال

-مساء الخير سيدي

-مساء النور يا منى

-كيف حالك أنت و أخوك ؟

-تمام

-هل سعدتم بهذه الرحلة ؟

-نعم, و هل اشتقت لي ؟

-كثيراً

-نعم كثيراً جداً

-يا شقية, أنت متأكدة مما تقولينه ؟

-أقسم لك هل تشك بذلك ؟

-لا أبداً فأنا أصدقك, اصبري قليلاً, ما هي إلا أيام و نعود للقاءاتنا

-ما الذي تقوله ؟ قالتها و هي تصطنع الحياء

-ما لك هل أخجلتك

-لا.. لا.. لم تقول ذلك ؟

-لأنني أحسست بأنك قد شردت

-نعم لقد شردت قليلاً.. كيف لا و الذي بيننا يجعلني أسبح في بحر الأحلام

-ألهذا الحد ؟

-و هل هو قليل ما أحس به ؟

-لا أبداً أنت محقة في كل ما تحسين به لكني أردت اختبار عواطفك

-بعد كل تلك الأيام تعود لذلك !؟

-هذا حقي لأبقى على اطلاع بما يدور حولي

-كن مطمئناً أنا على عهدي حتى آخر العمر

-دعينا من كل هذا.. قولي لي ما سبب اتصالك و في هذا الوقت بالذات ؟

-اشتقت إليك

-" يا ستي " أصدقك و لكن قولي لي الحقيقة

-لا شيء أبداً سوى ما كنت قد ذكرته لك.

عندها تأكد من أن شيئاً كبيراً قد حصل و ذلك من خلال نبرة صوتها التي تغيرت عندما كرر سؤاله :

-قولي الحقيقة و إلا سأغلق السماعة و أتصل بوالدتي

-لا داعي سأعلمك بكل شيء و لكن قبل كل شيء عدني بأن تتقبل ما أقوله بشجاعة كعهدي بك

-لقد أقلقتني انطقي بهذه الدرة هل حدث مكروه لأهلي ؟

-لأحدهم فقط

-من ؟ والدتي ؟

-لا

-إخوتي ؟

-لا

-لم يبق سوى والدي ماذا حدث له ؟

-لقد توفي و لكم من بعده طول البقاء

-ما الذي تقولينه ؟

-هذا ما حدث فقد وجدوه ميتاً ظهر اليوم في شقته الخاصة

-يا إلهي ! ما هذه المصيبة ؟

-سيدي عليك ضبط نفسك و عدم إخبار أخيك هذا ما طلبه المحقق

-محقق ..!؟

-نعم

-و هل هناك ما يريب ؟

-نعم لقد وجدوه منتحراً

-منتحر ..!؟

-نعم

-و هل كان بمفرده ؟

-هذا ما كان قد ورد على لسان والدتك

-أين والدتي الآن ؟

-نائمة

-كيف كانت حالتها ؟

-وضعها جيد فأنت تعرف متانة أعصابها

-أصدقيني القول هل هي حقاً بخير ؟

-نعم صدقني و لولا تحذير المحقق و كذلك والدتك لأوصلتك بها و تركتك تكلمها

-يا إلهي ! ما هذه المصيبة ؟

-كان الله في عونكم و عوننا جميعاً.. سيدي هل تسمعني ؟

-نعم نعم لقد شردت قليلاً

-اعتن بنفسك .. عدني بذلك

-لا عليك, أعدك

-إلى اللقاء يا نور عيني

-إلى اللقاء

أغلقت السماعة و عادت أدراجها لتقوم بجولة في أنحاء البيت آملة أن تسمع أية حركة تدل على أن السيدة لم تزل صاحية.. لكنها عادت خائبة الرجاء كونها تأكدت من استسلام سيدتها للنوم من مسجل الصوت الذي اختفى صوته

عندها قصدت غرفتها و أسندت رأسها على وسادة مريحة آملة أن تسترق بعض لحظات من النوم كون يوم غد سيكون طويلاً

في هذه اللحظات جلس شادي و هو يمسك رأسه بيديه على كرسي كان بالقرب من الطاولة وسط صالة الشاليه كونه أحس بدوار كاد يسقطه أرضاً

-ما الذي سأفعله يا إلهي ؟ كيف سأكتم الأمر عن أخي و رفاقنا لأنه لو لم يكن من الضروري التزام الصمت لكانت والدتي هي من أخبرنا بذلك

أخشى أن أعلم أخي فنقع بالمحظور.. صحيح لم أكدت عليّ منى ذلك ...؟ هل يشك المحقق بشخص معين ؟ هل لديه أدنى شك بأن لي و لأي من لأهلي علاقة بالأمر؟ لا .. لا.. غير معقول فنحن هنا منذ ثلاثة أيام و كذلك شقيقتاي فهما خارج البلد.. كيف يكون لنا علاقة..؟ هل يعقل أن يقوم أحد منا بعمل كهذا ...!؟

قال ذلك بينه و بين نفسه في محاولة منه ترتيب أفكاره.

و بنما هو بحالته هذه عاد لوعيه إثر لمسة لطيفة من صديقه ضياء

رفع رأسه بجزع كمن ضبط بوضع مريب, حدق بضياء لثوان دون أن يتكلم

-ما لك ؟ ما الذي حدث ؟

-لا شيء أرجو منك أن تدعني و شأني

-خيراً يا رجل.. قل لي: هل حدث مكروه لأي من أفراد أسرتك؟ هل أخبرك من اتصل بك بذلك؟

-هل سمعت الرنة ؟

-نعم و بالصدفة البحتة عندما كنت أقصد المطبخ.. أصدقني القول.. هل حدث شيء؟

-لا .. لا.. أبداً اذهب و تابع نومك

-لم لا تقوم أنت و تخلد للنوم ؟

-بعد قليل سأفعل

-يعني أن هناك ما يشغل بالك.. قل لي ما هو..؟ قالها ضياء بإلحاح

في هذه اللحظة اغرورقت عينا شادي بالدمع و قام فجأة و ضم ضياء بشدة و ألقى برأسه على كتفه حيث انهمك ببكاء طويل وسط ذهول ضياء الذي فاجأته حركة شادي دون أن يعلم السبب

بقيا هكذا ثوان إلى أن هدأ شادي و تماسك. و ضياء لم يزل صامتاً و الأفكار تدور في رأسه كمروحة هائلة تكاد تودي بعقله

و ما إن أفرغ شادي شحنته تلك حتى رفع رأسه عن كتف ضياء و نظر إليه بانكسار و بادره قائلاً

-لقد مات والدي

-ماذا ..!؟

-هذا ما حدث

-كيف حصل ذلك ؟

-وجدوه منتحراً في شقته

-قل غير هذا الكلام يا رجل

-هذه هي الحقيقة هذا ما أبلغت به قبل قليل

-من أبلغك بذلك ؟

-منى الشغالة

-الله أكبر ! ما هذه المصيبة..؟ على كل حال تماسك جيداً

-معك حق, و لكن كيف سأتصرف ؟ لأن منى أكدت علي بأن لا أخبر أحداً و ذلك بناء على تعليمات المحقق

-لم ؟

-لا أدري و لكن بالتأكيد هناك هدف من وراء ذلك

-ربما !

-قل لي كيف سأتصرف لأن عقلي و تفكيري قد توقفا تماماً منذ أن أبلغت بهذا النبأ المفجع.

-هدئ من روعك.. فالذي حدث صار و انتهى و ما عليك الآن سوى أن تلتزم الصمت على الأقل حتى صباح الغد حيث تستوضح الأمر جيداً

-معك حق

-الآن قم و استلق قليلاً لأن ما ينتظرنا غد كبير جدا

-صحيح و لكن من أين سيأتي النوم الذي تتحدث عنه ؟

-قم معي و سأشاركك غرفتك.. أعاننا الله على هذه الليلة

سارا جنباً إلى جنب و كان ضياء يقود صديقه شادي و هو يطوق رقبته بذراعيه بكل حنان قد يقدمه صديق لصديقه وقت الشدة

في الصباح الباكر عندما بدأت أشعة الشمس تشق ستار الليل كون ذاك المصباح الإلهي قد بدأ يرسل ذلك النور السماوي ليجفف وجه الأرض مم سفحته من دموع ليلة ثكلى على ما فاتها

كان المحقق يجلس خلف مكتبه و منشفة صغيرة نطوق رقبته بعد أن غسل رأسه بالماء الفاتر طرداً لإعياء دفع النوم دفعاً ليجافيه

فرك رأسه جيداً ثم أعاد المنشفة إلى رقبته و مد يده إلى فنجان القهوة الذي كان قد أعده له الحاجب قبل قليل .

ارتشف رشفة تلذذ بها كثيراً ثم مد يده إلى علبة الدخان و سحب سيجارة و أشعلها و عب منها نفساً عميقاً بكل شغف.. أبقاه قليلاً في فمه و من ثم أطلقه عالياً كمن يطرد شيئاً علق في فضاء الغرفة

-الآن بدأ الجد, قالها محدثا نفسه و هو ينظر من النافذة التي كانت تنقل كل متغيرات الكون في تلك اللحظات من طابقه العالي جداً فبدا الكون كله و كأنه شاشة كبيرة من نسيج سحري تغير لونها كلما مر الوقت و ظهرت أسراب الطيور و هي تتوافد إلى ملعبها كمجموعات من البشر اعتادوا التجمع في ساحة واسعة لممارسة بعض من الحركات الرياضية دفعاً لما كان قد ترسب في خلايا جسدها طيلة ليلة كاملة و لكي يعيد شيئاً من نشاطها كي تتجهز لخوض غمار معمعة يوم كامل

-من أين سأبدأ..؟ من أين..؟ قالها و هو يحرك يده فوق بضع حاجات كان قد وضعها أمامه معاونه ليلة أمس و بينما كان يمرر يده فوق تلك الأغراض توقف عند شيء قاسي الملمس رفع كفه لتظهر أمام ناظره مفكرة صغيرة استترت تحت بضع وريقات حملها و بدأ يقلب صفحاتها بدءاً من الجلد السميك الذي ضم اسم صاحبها و أرقام هواتفه الشخصية بالإضافة إلى أرقام هواتف مكاتبه في هذه المدينة

قلب الصفحة الثانية و من ثم الثالثة إلى أن وصل إلى الرابعة و التي توقف عنده طويلاً – أعاد قراءتها أكثر من مرة لأنها حوت رقماً تجاوز الخمسة عشر رقماً

-لمن يكون هذا الرقم ؟ قالها محدثاً نفسه و هو يمد يده إلى مفكرة هواتف مكتبه ليقارن الرقم بأرقام النداء المحلية و الدولية و كذلك نداء كل مدينة على حدة

-ها .. ها .. حتى إلى تلك البلاد وصلت أذرعك أيها المنتحر المسكين !؟

-هذا رأس خيط آخر يمكن الاعتماد عليه

هل هناك مفاجآت أخرى تخبئها لنا قالها و هو ينفخ سحابة من الدخان الأبيض وصل في مقدمته إلى أعلى نقطة في فضاء ذاك المكتب

في قاعة الاستقبال التابعة لمطار العاصمة أعلنت إدارة المطار عن وصول الطائرة القادمة من قبرص عبر مكبر الصوت

و كان يجلس في إحدى زوايا تلك الصالة رجل وضع على عينيه نظارة سوداء و علامات القلق بادية على كل حركاته بدءاً من التفاتاته المتكررة بكل الاتجاهات و حتى نظره الدائم إلى ساعة يده, و ما إن سمع تلك الإذاعة حتى تغيرت ملامحه و بدأ يرتب نفسه كمن يتجهز لمقابلة مهمة

قام من مكانه و توجه نحو بوابة القادمين الذين بدأت طلائعهم تهل على شكل أفراد و جماعات و غالبيتهم يدفع بعربة حملت حقائبه

تفرس في الوجوه بكل دقة إلى أن وجد ضالته و كانت شابة ذات قد ممشوق تضع على عينيها نظارة شمسية من النوع الفاخر و كانت ترتدي سروالاً من الجينز الأسود و بلوزة سكرية و على كتفها علقت حقيبة يدها

و ما إن رأته حتى انفرجت أساريرها و بدأت تلوح له بيدها

استقبلها بكل حرارة و أخذ من يدها العربة و قادها خارجاً إلى مكان ركن فيه سيارته الفاخرة

أثناء الطريق سألته و بالإلحاح عن كل شيء و لا سيما عن السيد أبي سامح رئيسها و الرجل الأهم في حياتها

عندها تلعثم و بدا كمن لا يعرف كيف يجيب فعمد إلى تغيير وجه السؤال بسؤال عن رحلتها كيف كانت و هل كانت موفقة أم لا

إلا أنها لم تكف عن ذلك بل كررت سؤالها ذاته و بشكل جاد

-كيف حال السيد أبي سامح ؟

-لا أدري ما الذي أقوله لك

-قل الحقيقة

-حدث مكروه له بكل أسف

-أقلقتني ما الذي حدث ؟

-لقد توفي

-ماذا !؟ ولطمت وجهها و من ثم رفعت نظارتيها عن عينيها و بمنديل سحبته من حقيبتها بدأت تجفف دموعاً تدحرجت على وجنتيها

و بعد صمت تماسكت و سألته: ما الذي حدث؟ قل لي كل شيء بالتفصيل

-لقد وجدوه ميتاً في شقته الخاصة

-الشقة عينها ؟

-نعم

-هل وجدوا أية أدلة مكان الحادث؟

-حتى الآن على ما يبدو لا

-مصيبة لم تخطر على بال أحد

-أصبت هذا هو الوصف الدقيق للمرحلة..

-عفواً أين تريدين أن أوصلك ؟

-إلى منزلي

-هل تريدين أن أخبر أحداً بوصولك ؟

-الآن لا

-كما تريدين

اخترقت بهما السيارة الشوارع المؤدية إلى العاصمة و الوجوم مخيم على محياهما إلى أن توقفت أمام مدخل بناء فاخر

و لمجرد ولوجها المدخل خرج لملاقاتها رجل بزي رسمي و بوجهه البشوش حمل حقيبتها و أوصلها إلى باب المصعد مطلقاً على مسامعها بعضاً من عبارات المجاملة دخلت شقتها و فوراً توجهت إلى حيث ركن جهاز هاتفها و أدارت رقماً ما لبثت أن تبادلت مع الطرف الآخر بضع عبارات ثم أقفلت السماعة و عادت لتلقي بنفسها على أريكتها ساهمة و ممسكة بصدغيها بكلتا يديها و كأنها تريد أن تعصر مخها عسى أن يسعفها ببادرة ما و هي بحالتها هذه رن جرس الباب .. قامت بتقاعس و فتحت و كان نفس الشخص الذي أقلها من المطار

-خيراً ما الذي أتى بك ؟

-سيدتي لقد نسيت هذه في السيارة و ناولها مظروفاً قليل السماكة

-شكراً لك إنه هام جداً

-هل من خدمة أقدمها لك ؟

-شكراً يمكنك الانصراف و إن احتجت شيئاً سأطلبك

-أنا في الخدمة سيدتي

عادت إلى مكانها و فوراً فتحت المظروف و بدأت تتفحص المستندات التي كانت بداخله ورقة ورقة و هي تلوح برأسها محدثة نفسها

-كان يجب أن يطلع عليها أبو سامح... ما الذي أفعله علي الاتصال بمقر الشركة في قبرص و إبلاغهم بالأمر لكي يتخذوا الإجراء المناسب وفق ما استجد من أحداث

و بالفعل توجهت نحو الهاتف و طلبت رقماً طويلاً و انتظرت برهة حتى أتاها الرد من الجهة المقابلة

أبلغت محدثها بكل المستجدات بلغة انكليزية واضحة و الذي بدوره طلب منها الانتظار برهة ليأتيها بالرد و بعد برهة أتاها الرد بشكل حازم ... " احتفظي بما لديك و أخفيه جيداً ريثما نجد من نرسله لك لإتمام الأمر "

-حاضر قالتها و هي تغلق السماعة

عادت إلى أريكتها شاردة و علامات الصدمة من ذاك الرد بادية عليها

جلست باسترخاء و سرحت بأفكارها عسى أن تسعفها قريحتها بشيء و أثناء ذلك قامت باستدراج ذاكرتها و أول ما تبادر لها يوم لقائها الأول بأبي سامح

كان ذلك أثناء تواجد السيد في إحدى الدول المجاورة و بالتحديد في قاعة مطار تلك الدولة وقتها كان يحتسي فنجان قهوة و للمصادفة كانت الطاولة التي شغلها تتسع لشخص آخر و كانت هي آتية تحمل بيدها فنجاناً من القهوة

استأذنته بمشاركته الطاولة فأبدا ترحيباً واضحاً و بالأخص بعد أن قام بقياسها بنظرة من أسفل قدميها حتى أعلى رأسها و من النظرات الأولى ظهر مدى إعجابه بها

تعارفا و كان هو المبادر معرفاً بنفسه و كذلك فعلت و من سياق حديثهما عرفت بأنه رجل أعمال و أنه قادم لإتمام صفقة عقد عليها آمالاً عظاماً و كذلك قدمت له نفسها على أنها

طالبة في السنة الأخيرة في كلية إدارة الأعمال التابعة لجامعة ذلك البلد وهي بالإضافة لذلك تعمل في إحدى الشركات موظفة استقبال

و كان لحسن الظروف و كذلك الصدف أن له علاقة تجارية مع نفس الشركة استفسر منها عن العديد من المديرين و المسؤولين كونه منذ فترة لم يلتق بهم.

من هنا كانت البداية و من بعدها ترافقا كونه أنهى ما كان ينتظره من إجراءات و كذلك هي فبعد أن أخذت الإيصالات التي بموجبها أرسلت طروداً عدة لفروع الشركة خارج البلد

ركبا سيارة أجرة و قصدا مقر إقامته و كانت في إحدى الفنادق الفاخرة و ما أن رآه المستخدمون حتى بادروا لاستقباله بحفاوة بالغة كونه من رواد هذا المكان و من الرجال الأسخياء

استضافها في قاعة الاستقبال و قدم لها مشروباً و بعد الانتهاء اتفقا على لقاءات أخرى

و في مقر الشركة كان رئيسها بانتظارها كونها تأخرت قليلاً عن موعدها.

بررت له ذلك شارحة كل ما قامت به و كان بهز رأسه بشيء من الرضا كون كل تحركاتها كانت مرصودة من قبل عيون الشركة المنتشرين في كل مكان و بالأخص في الأماكن الحساسة من هذه العاصمة.

هذه طبيعة الأعمال في تلك البلدان التي انتهجت سياسة اقتصاد السوق

قدمت تقريرها لرئيسها و عادت إلى مكتبها بعد أن أنجزت معظم أعمالها.

و بعد أن أنهت عملها غادرت باتجاه منزلها الكائن في إحدى الضواحي الفقيرة

دخل كل من شادي و ضياء الغرفة و استلقى شادي على السرير بمساعدة ضياء الذي قام بوضع الوسائد بشكل مريح تحت رأس شادي كي يتمكن من النوم و لو قليلاً بعد ذلك استلقى ضياء على أريكة جانبية قبالة سرير شادي و نظر نحو صديق طفولته يتمعن إلى أن تأكد من أن النوم قد خاصم شادي عندها بادره قائلاً

-عزيزي شادي ما تمر به قاس جداً هذا أمر مؤكد و لكن ليس باليد حيلة على الأقل في هذه الساعات لذا عليك التروي و الصبر

هز شادي رأسه موافقاً دون أن ينطق كون غصة تحكمت بحنجرته و مدت أذرعها داخلاً كأخطبوط تلقف غنيمة بحث عنها طويلاً

-هل تسمعني يا شادي ؟

-هز رأسه ثانية – عندها تأكد ضياء من عدم جدوى الكلام في هذا المجال.. لذا قرر تغيير الموضوع و قال :

-أتذكر أول مرة التقينا ؟

-نعم, قالها مع سعلة خفيفة كطفل كان يجيب شخصاً يهابه

-كانت أياماً حلوة

-نعم

-أذكر يوم دخلت الصف و كنت يومها لم أتجاوز الثامنة و كنت أحس برهبة لم أزل أذكرها حتى اليوم و بالأخص عندما دخلت علينا المعلمة و كانت هذه أول مرة أقف فيها أمام مدرسة أنثى كوني و أسرتي قدمنا إلى العاصمة من إحدى بلدات الوسط

-و كنا حينها في الصف الثاني الابتدائي

-نعم

-ألم تكن السيدات تدرس في مناطقكم ؟

-نعم و لكن في مدارس البنات فحسب

-لأجل هذا كنت مستغرباً وجود معلمة أنثى في مدرسة ذكور ؟

-تماماً يومها عدت إلى المنزل و دهشة العالم تتملكني و بقيت لساعات أسرد أمام أبويَّ و أختي الكبرى ذاك الحدث و كلهم كانوا ينصتون لي بشغف للتخفيف من حدة ذاك الموقف و

لأعود في اليوم التالي رابط الجأش لأنهم يعرفون ما يلاقيه فتى في مثل سني عندما يغير وسط عيشه و لأنهم و لولا الظرف الطارئ الذي ألزم والدي لما قبلوا بذاك التغيير و بنفس الوقت تلبية لوضع جديد كان قد نقل إليه والدي بعد ترقيته إلى منصب أعلى و في إدارة التفتيش العمومية و هذا المنصب بالإضافة لما له من مزايا فإنه يمنح المسؤول مكاسب مادية و معنوية الأمر الذي أثر بشكل إيجابي على كل أحوالنا فترقت حياتنا و أصبحت أكثر أبهة و رفاهية

-أذكر يومها كيف أشارت لي المعلمة كي أجلس في المقعد الثالث الذي يشغله طالب واحد غير بقية المقاعد المشغولة من قبل تلميذين

-كنت آنذاك ذاك الطالب و أذكر يومها كيف انتابني ذاك الشعور بالغبن

-لأنني أخذت مكان أعز أصدقائك و الذي كان يتعافى من عمل جراحي

-كيف عرفت ذلك ؟

-لقد صارحني بذلك صديقنا طلال بعد أن تم التعارف فيما بيننا

-لم تذكر ذلك لي من قبل

-لم تأت مناسبة لذلك

-و الآن هل أتت ؟

-أظن ذلك

-أتذكر يوم عاقبتنا المعلمة أنا و أنت و طلال؟

-يوم تسللنا إلى غرفة المخبر؟

-نعم

-كم كنا أشقياء

-و هل تعقلنا حسب رأيك؟

-نعم بعض الشيء

-لا حول ولا قوة إلا بالله ! من يسمعك يظن بأننا من طلاب أحد الأديرة أو إحدى المدارس الدينية

-و هل نحن بعيدون عن ذلك؟

-لا .. نحن أكثر اتزاناً.. قالها و هو يلوح برأسه استخفافاً

-من يسمعه يظن بأننا ممن يأكلون السبعة و ذمتها كما يقول المثل

-هذا الشاطئ يشهد على ذلك

-و هل كنت تراقبني ؟

-ومن لا يراقبك يا دنجوان عصرك

-أنا ؟

-نعم

-وهل أنت ملاك طاهر؟

-أنا لا أنكر ذلك و لكن الذنب يقع على من يغيرون الحقيقة

-أنا أغير الحقيقة ؟

-هذا ما قلته قبل قليل

-لم أقصد ذلك و لكني كنت أريد القول بأننا لسنا بالشواذ

-لم أقل أننا شواذ لكن لسنا بملائكة

-في هذا أنت محق

-استسلمت ؟

-نعم و من يستطيع مواجهة فيلسوف مثلك ؟

-أنا فيلسوف يا دنجوان ؟

-نعم لأنك تقوم بفلسفة كل شيء – تعرض و تقدم و تحتم كل شيء و كل أمر تتناوله

-ليصبح منطقياً

-هذا يصح في الأمور الجدية أما فيما يخص العلاقة بين الأصدقاء فالأمر مختلف, يجب أن تكون العلاقة أكثر بساطة و أقل تعقيداً

-نعم لكني أستفز تماماً عندما يقوم أي شخص بتغيير الحقيقة لم لا ينطق المرء بالحقيقة دون مواربة

-لا يستطيع المرء أن يكون صريحاً دائماً لأن عليه مراعاة الظروف في كثير من الأحيان

-أنا لست ممن يؤيدون ذلك هذا رأيك

-نعم لقد خلقنا الله مختلفي الطباع و الآراء

-هذا صحيح لذا ترانا نجد الكثيرين ممن تجمعهم المتناقضات كون المتماثلين في طباعهم لا يستطيعون الاستمرار طويلاً في المضي بعلاقاتهم كون حياتهم تصبح أكثر كآبة وبالتالي يتسلل الملل الذي يقتل عنصر التشويق و الانجذاب فيما بينهم عندها تراهم يتباعدون تلقائياً و يتركون أمر لقاءاتهم للصدفة

-ربما لكن هناك أناس كثيرون يخالفون هذا الرأي كونهم يقرنون استمرار علاقاتهم بتطابق الطباع و حتى الأفكار

-لكل قاعدة شواذ

-هذا مؤكد

-و الدليل على ما تقدم حضرتكم

-أنا ؟

-نعم أنت

-كيف ؟

-علاقتك بهذه الشغالة

-آه.. لقد ضربت على الوتر الحساس

-الحساس ..!؟

-نعم كوني جهدت على أن لا أثير في هذا الأمر

- لم ؟

-لأنك من الأشخاص المثابرين الذين لا يتوانون أبداً عن معرفة أدق التفاصيل في كل ما يقع بين أيديهم

-لم تريد أن تخفي عني ذلك ألست صديقك ؟

-نعم و لكن لهذا الأمر حساسيته

-أية حساسية تتكلم عنها كلنا شباب و نمر بمثل هكذا تجربة

-نعم لكن رغبتي انصبّت على أن أخفي هذا الأمر و أبقيه سراً على الأقل في هذه الفترة

-لماذا ؟

-لأنني لم أزل صغيراً و كي لا يسمع والدي بذلك آه لم يعد لي والد الآن... قالها بحرقة

-أنا آسف جداً

-لا عليك الأمر أصبح واقعياً و لا يمكننا الهرب منه

-حسناً هذه بادرة خير لمستها عندك كونك بدأت تفكر بشكل منطقي و تتقبل الأمر بشكل طبيعي

قال ذلك ضياء وهو يضمن أن يبعد صديقه شادي عن هذا الموضوع قدر المستطاع و تابع قائلاً:

-قل لي يا دنجوان زمانك: كيف بدأت علاقتك بتلك الفتاة ؟

-كنت أعرف بأنك ستسأل هذا السؤال

-هل كنت تتوقع بأنني سأمرر مثل هكذا أمر ببساطة ؟

-لا أبداً.. فأنا أعرفك كم أنت ملحاح !

-بعد أن قامت والدتي بطرد الشغالة السابقة وقد ضبطتها و هي تسرق, طلبت من مكتب التشغيل الكائن في حينا ترشيح واحدة أخرى للعمل عندنا و بالفعل ما هي إلا أيام حتى حضر و برفقته فتاة ريفية تحتضن صرة ثيابها و تقف جانبه بانكسار

-هذه منى من قريتي سيدتي و أنا أضمن أخلاقها

-هل أنت متأكد مما تقوله يا أبا حسين ؟

-نعم سيدتي فهي تنحدر من أسرة طيبة و شريفة

-لا مانع من تجربتها لعدة أيام

-لا بأس سيدتي

-دعها هنا و اذهب أنت مع السلامة قالتها والدتي بعد أن نقدته المعلوم ثم توجهت بالكلام لمنى

-اسمعي يا ابنتي ما اسمك ؟

-اسمي منى سيدتي

-ما الذي تجيدينه يا منى ؟

-كل شيء

-هل خدمت في المنازل سابقاً ؟

-كلا

-هل لديك خبرة في خدمة البيوت ؟

-نعم سيدتي فأنا حتى صباح هذا اليوم كنت أقوم بكل مسؤوليات أسرتنا المكونة من تسعة أشخاص

-ألهذا الحد أسرتكم كبيرة ..!؟

-نعم

-من أجل هذا قررت العمل ..

-نعم لأساهم في تأمين متطلبات تلك العائلة

-ممتاز, اسمعي إذاً ما يجب عليك الالتزام به: أولاً السرية التامة و ثانياً النظافة و ثالثاً الأمانة و إن حدث أي خلل في كل ما ذكرت ستطردين

-كوني مطمئنة فأنا أعرف كل هذا لأنه هو ما تربيت عليه

- ممتاز فلنجرب

-لن تندمي سيدتي

-إن شاء الله

-ما علاقتي بكل ما ذكرت ؟

-يا سيدي نحن نتسلى

-معك حق فالوقت حتى الصباح طويل .. تابع

-يا صاحبي التزمت تلك الفتاة بتعليمات والدتي بكل دقة كونها عجزت عن الإمساك بأي هفوة قد تقوم بها رغم شكها الذي تعرفه لذا أمنت لها و تركتها لحالها

-و بعد ذلك ؟

-بعد أن اعتادت على الجو العام في منزلنا صارت تدخل الغرف و بأوقات مختلفة حتى عندما نكون فيها لتتمكن من القيام بواجبها قبل أن يلتم الشمل

-كل ما ذكرته لا يدعو للريبة

-نعم و لكن وجود هكذا صبية تتمتع بقسط وافر من الجمال الطبيعي و الرشاقة يثير شاباً في مثل سني لأجل ذلك صرت أتحين الفرصة و أدخل المنزل في أوقات غياب الجميع و مرة تلو الأخرى صرنا نجلس و نتحادث إلى أن تطورت تلك اللقاءات لتصير أكثر عمقاً

-و هل ...؟

- ليس كما تظن لأنها كانت أكثر حرصاً مما تتصور

-ألم تعاشرها ؟

-ليس بالمعنى الحرفي للكلمة

-إذاً كانت علاقة سطحية

-تستطيع قول ذلك

-هل تحبها ؟

-لا أستطيع تحديد مشاعري

-هل تحبك هي ؟

-أظن ذلك

-تظن أم أنت غير متأكد ؟

-هي تؤكد ذلك لكني أشك

-لم ؟

-لأن الفتاة في عمرها ترسم لهذا الأمر جيداً

-كم عمرها ؟

-تكبرني بعامين

-بعامين ...!؟

-نعم

-لا يبدو عليها ذلك

-هي قروية و نشيطة لذا تراها تبدو أصغر سناً من الواقع

-حدثني عن علاقتك الحميمة بها كيف بدأت ؟

-ذات يوم عدت إلى البيت قبل الوقت بحجة أن هناك بعض الحصص الدراسية شاغرة

-آه.. لهذا كنت تغادر قبل انتهاء الدوام !

-نعم كنت أقوم بذلك لألاقيها على انفراد و في المنزل تحديداً وكنت قد حفظت أوقات دوام كل إخوتي وكذلك مواعيد خروج والدتي أما والدي فأمره سهل كونه قام ببرمجة حياته كونه قسم أيامه بين زوجاته

-تابع..

-دخلت المنزل خلسة فسمعتها تغني و هي تقوم بأعمال المنزل و كانت وقتها تقوم بمسح أرضيته وقد رفعت طرف ثوبها و علقته بزنارها كي لا يشكل عائقاً لها أثناء عملها كيف لا تفعل ذلك و المنزل فارغ من سكانه وقفت بالباب مشدوهاً بمشهد ساقيها العاريين حتى أعلى فخذيها و هي تقوم بعصر الممسحة فوق سطل الماء لا أدري ما كان شعوري لحظتها انتابني نوع من القشعريرة و شعرت بأن أطرافي بدأت تنمل و كذلك أحسست بالخشونة الظاهرة على صفحات جلدي و ما لبثت أن زاغت عيناي و غاب وعيي تقريباً

-أنت ؟

-نعم

-أين ذهبت كل تلك المشاهد التي كنت تتابعها على جهاز الالتقاط خاصتك ؟

-مشاهد التلفزيون شيء و المشهد الطبيعي شيء آخر

-أكمل

-بقيت هكذا فترة لا بأس بها و هي تقوم بعملها دون أن تنتبه لوجودي و في إحدى المرات و بينما كانت تثبت قطعة القماش على الممسحة رفعت عينيها و رأتني

-كيف كانت ردة فعلها ؟

-شهقت من هول المفاجأة لدرجة أنها أسقطت الممسحة أرضاً و سارعت بفك طرف ثوبها الذي علق لا أدري إن كان قد علق أم ارتباكها هو السبب بقيت تحرك يدها بشكل عشوائي إلا أن صرت قبالتها كوني تقدمت لا شعورياً باتجاهها و أمسكت يديها بكلتا يدي لتتوقف عندها لامست أعلى فخذيها بيدي وسط ذهولها كون الموقف قد ذهب بعقلها تماماً فجحظت عيناها و هي تحدق بي.. أحسست بارتعاشات جسدها الذي أثر على نفسها و صارت بالكاد تلتقط أنفاسها , عند ذلك رفعت يدي لألامس رقبتها و وجهها و قربت وجهها بيدي كونها تزيدني طولاً و لثمت شفتيها و تركتها و غادرت مسرعاً كمن لسعته أفعى و أنا أفتح الباب لأجدها واقفة ذاهلة جاحظة العينين كمن لا يصدق ما يراه أو يسمعه

-ما الذي فعلته بعد ذلك, و كيف تصرفت ذاك اليوم ؟

-بقيت خارج المنزل حتى آخر الليل على أمل أن يكون كل أهلي قد استسلموا للنوم

-متى عدت ؟

-حوالي الثانية عشر ليلاً و كانت الغرف مظلمة عدا غرفة منى و كان صوت المسجل خاصتها يرسل نغمات مرحة و كانت ترافقها بدندنات جذابة و بكل ارتياح اقتربت من الغرفة على رؤوس أصابعي حتى صرت قبالة الباب الذي كان مواربا بعض الشيء من خلال تلك الفرجة رأيتها و كانت تجلس على كرسي وقد لفت رجلاً على رجل و هي تحاول تقليم أظافرها

-هل أحست بك

-كلا لأني تابعت طريقي نحو غرفتي لأندس في فراشي و أنفاسي تكاد أن تنقطع

-يعني الأمر مر بسلام

-هذا ما حدث

-و بالنسبة لها ما الذي ستفعله لاحقاً ؟

-حتى الآن لا أدري و لكن سأجد حلاً

-هل ستخذلها ؟

-ليس تماماً لكني سأتصرف معها بشكل تكون هي راضية

-أحسنت.. هذا ما كنت سأطلبه منك

-أنت توافقني الرأي

-نعم

أثناء ذلك سمعا صوتاً آت من الصالة ما لبث أن اقترب ليدخل صديقهما رياض متسائلاً عن ما يراه كونه استغرب وجودهما هكذا في مثل هذا الوقت

-سردا عليه ما كانا قد سمعاه قبل قليل .. جلس و هو يمسك رأسه بكلتا يديه على طرف السرير دون أن ينطق

في مكتب التحقيق تباحث المحقق مع معاونه في موضوع ما قامت به أم ساهر هذا الصباح

-ترى ما الذي كانت تحويه تلك الخزانة ؟

-الله أعلم سيدي, فهؤلاء الناس كل حياتهم غامضة

-يجب أن نعرف كل شيء و بالسرعة القصوى

-هذا ما أفكر به

-ما هي الخطوات التالية ؟

-لنتصل بمجموعة المراقبة و من بعدها نقرر

-معك حق .. قالها و هو يضغط على زر الاتصال بجهازه و قال :

-أين أنتم يا بني ؟

-نحن أمام مبنى يقع في الضاحية الجنوبية دخلته قبل قليل السيدة و كانت تحمل معها شيئاً لونه أسود

-و هل كانت تحمل شيئاً آخر ؟

-نعم حقيبة يدها

-و هل كان معها كيس ؟

-لا

نظر نحو معاونه و قال : على الأغلب تركته في السيارة

-هل أوقفت سيارتها بشكل نظامي ؟

-كلا سيدي لقد أوقفتها بشكل مخالف

-ممتاز.. ابق حيث أنت و تعاون مع من سيأتي لأخذ السيارة

-حاضر

رفع سماعة الهاتف و طلب المقسم قائلاً :

-أوصلني بفرع المرور يا بني... انتظر قليلاً و من بعدها قال :

-صباح الخير سيادة العقيد

-أهلاً سيدي

-أريد منكم خدمة سريعة

-نحن في الخدمة دائماً سيدي ما الذي تأمر به ؟

-أريد جلب سيارة على وجه السرعة إلى مكتب التحقيق

-حاضر.. أين تقف تلك السيارة و ما هي أوصافها ؟

-هي من نوع مرسيدس حمراء تحمل الرقم ..... و تقف في الناحية الغربية من الضاحية الجنوبية و ستجدون بقربها عنصر مراقبة

-حالاً ستكون السيارة تلك عندكم

-شكراً سيادة العقيد

-العفو نحن في الخدمة

حضرت سيارة المرور و قامت بسحب السيارة بعد أن دل عليها عنصر المراقبة و اقتادتها باتجاه ما يسمى مرآب الحجز

و ما هي إلا دقائق حتى صارت تلك السيارة بين أيدي عناصر التحقيق الذين قاموا بفتحها و تفتيشها جيداً و بعد ذلك قاموا بتصوير كل محتويات الكيس و من بعدها أعادوا كل شيء كما كان و غادروا.

عندها قام عناصر المرور بركن السيارة في المكان المخصص للسيارات المخالفة ليبدو الأمر طبيعياً

عند باب البناية التي دخلتها قبل قليل أم ساهر وقف شخص أمام سيارة متوقفة قرب الرصيف المقابل و كان يمثل الحديث مع شخص آخر عبر جهازه الخليوي

خرجت أم ساهر من باب المدخل و توجهت إلى المكان الذي تركت سيارتها فيه إلا أنها لم تجدها

-أين اختفت سيارتي ...؟ قالتها و هي تتلفت يميناً و يساراً عندها تقدم منها ذاك الرجل و قال :

-هل تبحثين عن السيارة الحمراء سيدتي ؟

-نعم

-لقد قطرتها سيارة المرور قبل قليل

-لماذا ؟

-لا أدري و لكن ربما كانت متوقفة بشكل مخالف

-أين يأخذون السيارات بالعادة ؟

-إلى مرآب الحجز

-و أين يقع هذا الذي ذكرته ؟

-هناك .. قالها و هو يشير بيده إلى الجهة الغربية

-هناك ..!؟

-نعم

-يا إلهي..! كم هي بعيدة تلك النقطة.. و هل من إجراءات عليّ القيام بها ؟

-كلا و بمجرد دفع الغرامة يطلق سراحها

-بسيطة.. إن كان الأمر ضمن هذه الحدود – قالتها و هي تشير بيدها لسيارة أجرة استقلتها و غادرت ، عندها أعلم رئيسه بكل المستجدات

أمام مكتب الحجز توقفت سيارة أجرة و نزلت منها سيدة أنيقة و دخلت ذاك المكان ، ومن مكتب الاستعلامات عرفت كل ما عليها القيام به و باشرت بذلك بعد أن استعانت بالمستخدم ، وما هي إلا لحظات حتى كان ذاك الرجل قد أنهى كل الإجراءات و أعطاها إيصالاً لتقوم بتسديده و غادر

دفعت كل الغرامات و أخذت إشعاراً بفك حجز السيارة و عادت إلى المبنى

و من ثم خرجت و برفقتها عنصر قادها إلى مكان احتجاز السيارة و بعد أن استلمت إشعار الإفراج و قيام العنصر المسؤول بإجراءات تسليم السيارة فوراً وبشكل لاإرادي فتحت الباب و تفقدت كل محتوياتها و بالأخص ذاك الكيس ، عندها تنفست الصعداء و هي تسند رأسها على مقود السيارة . بقيت هكذا لثوان و الشرطي لم يزل واقفاً قربها و على وجهه بدت علامات الاستغراب و عندما لم تنتبه له قام بالقرع على زجاج النافذة حينها استردت وعيها.. مدت يدها لتضع بيده مبلغاً و شكرته على مساعدتها و قالت :

-شكراً لك. و غادرت المكان بكل هدوء وما أن صارت وسط الشارع العريض حتى أقلعت بكل سرعة و كان قصدها منزلها

-تم كل ذلك بهدوء سيدي.. قالها رئيس فرع المرور

-شكراً لكم سيادة العقيد .. قم بزيارتنا

-إن شاء الله, نحن في الخدمة دائماً

-هذا عهدنا بكم إلى اللقاء

-إلى اللقاء سيدي

تلفت نحو معاونه و قال :

-كل شيء تم كما خططنا

-ممتاز سيدي

-الآن يجب أن نعرف ما الذي حواه ذلك الكيس

-نعم و على الأغلب يكمن الحل في محتوياته

-ربما

-و الآن ، بم سنبدأ ؟

-سندقق بالصور أولاً

-لم يحضروها بعد

-و دائرة فك الرموز ، هل توصلوا لشيء ؟

-لم تصلنا أية معلومات بعد

-اتصل بهم, و أكد عليهم أهمية الموضوع

-سأقوم بزيارتهم شخصياً

-حسناً تفعل

-أنا ذاهب.. احترامي

-مع السلامة .. قالها و هو يغادر مكانه من خلف المكتب و بدأ يتمشى في الفسحة الواقعة بين المكتب و باب الغرفة

-إلى أين ستوصلنا أيها الميت الغامض...؟ لا أدري و لكن لا يهم سأكتشف كل شيء بعون الله.. قالها و هو يهز رأسه مؤكداً

أعاده إلى موقعه رنة من جهاز اللاسلكي

-ها.. ما الجديد ؟

-لقد دخلت شقتها الآن و هي تحمل بيدها كيساً أسود

-حسناً.. ابق مكانك و راقب كل شيء جيداً

عند ذلك دخل المعاون و بيديه مظروف بان من فوهته أنه يحوي عدة أوراق

-احترامي سيدي

-... ما الذي جلبته ؟

-الصور

-هاتها

-تفضل .. و سلمه المظروف و جلس على كرسي قبالة المكتب و بدأ بمراقبة ملامح رئيسه

-هل أثار انتباهك شيء سيدي ؟

-نعم

-ما هو ؟

-هذه.. و قدم له الصورة.. تسلمها المعاون و دقق بها قليلاً و قال

-ما الذي أثارك بها سيدي ؟

-هذه الصورة تحوي دليلاً هاماً.. دقق بها و خمن ما هو

دقق بها قليلاً و هو يفرك صدغه بيده و قال فجأة

-هذا الشيء... أليس كذلك سيدي؟

-أحسنت... لم تزل دقيق الملاحظة

-شكراً و لكن ما الفائدة من ذلك ؟

-هذه الأشياء تضمها حلقة و هذه الحلقة كانت تربط تلك السلسة التي كنا قد وجدناها في خزانة ابوسامح ألا تتذكر ذلك ؟

-و ما أدرانا بأنها هي نفس الحلقة ؟

-إن لم يخب ظني فإنها هي

-لم تؤكد ذلك سيدي ؟

-لأنها بالدرجة الأولى تلائم تلك السلسلة ومن ناحية أخرى فهي تحوي على هذا العدد من المفاتيح

المهم أن نعرف الأماكن التي تفتحها تلك المفاتيح

-كيف سيتثنى لنا ذلك ؟

-علينا الحصول على تلك المفاتيح

-كيف ؟

-سنرتب ذلك

-يجب أن نسرع قبل أن تقوم تلك السيدة باستعمالها أو إخفائها

-لا نستطيع فعل شيء في الوقت الحاضر

-لماذا سيدي ؟

-لأنه يجب علينا الانتهاء من المراقبة أولاً و من ثم نبحث فيما تفتحه تلك المفاتيح.. و هذا خارج شقتها بالتأكيد

-لم تؤكد ذلك سيدي؟

-لأنه لو كان لذلك علاقة لكان قد احتفظ بها في مكتبه بشكل عادي كون تلك الشقة من عداد منازله

-و لأي الأمكنة تعود حسب رأيكم ؟

-سنعرف ذلك في أقرب وقت

-أحسدكم على صبركم.

-عملنا علّمنا ذلك .. لأن التسرع سيحرف مسار القضية و قد يضيع الحقيقة التي قد تكون أمام أعيننا مباشرة

-معكم حق

-انظر إلى هذا الشيء

-ما هذا ..؟ قالها و هو يتسلم صورة ثانية

-دقق بها جيداً و أعلمني بما تلاحظه

-هذا الشيء أليس كذلك ؟

-نعم

-ما هذا الشيء الغريب سيدي ؟

-هذا قراب يستعمله الرجال المهمون لحفظ أشيائهم الثمينة أثناء سفرهم و تنقلاتهم

-مثل ماذا ؟

-كالجواهر و الحلي و الأوراق المصرفية

-أين يضعونه ؟

-في كثير من الأحيان يكون جزءاً من زنار يحزمون به خصرهم

-كيف ؟

-هناك أحزمة مؤلفة من عدة قطع توصل ببعضها بواسطة حلقات يكون هذا الشيء أحدها

-كيف عرفت ذلك سيدي ؟

-من تلك الحلقة الجلدية البارزة عند أطرافه

-ترى ما الذي كان يحويه ؟

-الله أعلم.. و لكن إن كان ذاك الشيء لم يزل موجوداً فإنه هام جداً

-أيعقل أن يكون ما ذكرت موجوداً ؟

-ربما, لأننا في عملنا نعتبر أن كل شيء ممكن

-يا لمجال عملنا كم هو دفين ..! نكاد نشك بأنفسنا

-أنت تبالغ, و إن كنت قد وصلت إلى هذه المرحلة فهذا دليل على أنك محقق ناجح

-أعان الله زوجاتنا

-نعم فهن يتحملن مالم تتحمله قريناتهن

-المهم متى سنطلع على تلك المحتويات ؟

-غداً على أبعد تقدير

-لم هذا التأخير ؟

-لأننا سنتركها على راحتها هذا النهار.. و غداً و بموجب تصرفاتها نرتب أولوياتنا

-أرى أننا قد ركزنا انتباهنا و اهتمامنا على تلك السيدة و أهملنا البقية

-لم نهمل أحداً لأن الجميع تحت المراقبة و بنفس الوقت هي الوحيدة التي تمارس عملاً دون بقية زوجاته

-ألا يتوجب علينا البحث في مكتبها ؟

-نعم غداً كما قلت لك

-غداً.. غداً أين أنت يا يوم غد ؟

-أنت عجول و هذا غير مستحب في مجال عملنا

-نعم سيدي لأنني أرغب في الكشف عن كل الخفايا في الحال

-ستقوم بذلك.. كن مطمئناً

-حسناً.. قالها بشيء من الملل

استيقظ الأصدقاء الثلاثة و كانوا قد استسلموا للنوم ثلاثتهم كل في مكانه

غادر كل من ضياء و شادي السرير بينما وضاح الذي كان قد استخدم كرسياً أسند عليه قدميه قبالة الأريكة التي استرخى بها

كانوا ثلاثتهم قد اتفقوا على قطع إجازتهم هذه و الإسراع في العودة و رتبوا لذلك عذراً مقنعاً كون والد وضاح قد أصيب بوعكة و هذا ما كانت والدته قد أعلمته به ليلاً بعد أن نام الجميع .. لذا قاموا بإقناع البقية بذلك

-انطلقت بهم السيارة مغادرة تلك الربوع الساحرة التفت كل منهم إلى ما كان قد تركه خلفه من محفزات على البقاء و بالأخص في تلك الفترة من العام.

حيث تضج تلك المناطق بعصافير الجنة و حوريات الخلد ممن يجاهد المرء كثيراً لمنع نفسه من التحويم و الدوران حولها كفراش سعى لرشف رحيق آملاً أن يمده بطاقة روحية تعينه على البقاء

-كن صبوراً يا وضاح قالها سامح.. إن شاء الله يكون الأمر بسيطاً

-لا عليك يا صديقي.. قد أنت السيارة بهدوء و تركيز و دع كل ما خلا ذلك إلى أن نصل و عندها تتصرف حسب المستجدات

-ممتاز.. أعترف بأنني أحسدك على متانة أعصابك و قوة إرادتك في مثل هذه الظروف

-هذه منة من الله

-أهنئك عليها.. ليتني أحوز على جزء منها

-يستطيع المرء تدريب نفسه على ذلك كون الإنسان قابلاً للتعلم و بالتالي التأقلم مع كل الظروف أياً كانت خارجية أم داخلية. و بذلك يستطيع التحكم بانفعالاته

-كيف و أنا عصبي المزاج و في معظم الأحيان تكون ردة فعلي عاصفة و بالأخص عندما أحشر في موقف حرج

-هنا تكمن قوة الإرادة لأن من يستطيع ضبط انفعالاته و التحكم بها و بنتائجها يكون هو الرابح دائماً بينما الذي يطلق لانفعالاته العنان يقع و بكل تأكيد بالخسارة و بالتالي الندم

-صحيح و لكن سنة الكون هكذا لأن الله خلق البشر كل على طبيعة خاصة و بالكاد نجد شخصين متشابهين تماماً, صحيح أننا نجد في محيطنا أشخاصاً متقاربين إلا أنهم غير متشابهين تماماً لدرجة التطابق

-كحالنا نحن

-تقريباً

-ألسنا متقاربين و متفقين على كل شيء ؟

-نعم و لكن المقدرات الشخصية تختلف و تتفاوت بين شخص و آخر, و أكبر دليل هو ما صرحت به أنت قبل قليل

-معك حق.. لأجل ذلك أحسدك على ما أنت فيه

-بسيطة.. أين صرنا ؟

-لم نتخط حدود منطقة الساحل

-إذاً يلزمنا ساعات لنصل

-نعم و إن أردت أستطيع اختصار الوقت

-عن طريق السرعة

-نعم

-لا شكراً.. لأنني أريد أن أصل و ليس العكس

و بعد أن مضى على انطلاقهم مدة لا بأس بها تلفت وضاح يميناً فوجد أنهم يسيرون فوق طريق محلق دائري و السيارة تسايره تماماً

-ها نحن قد وصلنا إلى المنطقة التي عندها تتفرع الطرق و بكل الاتجاهات

كل ذلك تم و الوجوم باد على محيا كل من شادي و ضياء و استمر وضاح بتولي دفة الحوار مع سامح استهلاكاً للوقت في حين كان سامح يرمق أخاه عبر المرآة, ثم ما لبث أن بادره قائلاً:

-هل أنت حزين على قطع هذه الإجازة بهذا الشكل؟

-كلا .. أبداً المهم أن نصل و نطمئن على صحة العم أبي وضاح قالها و هو يرمق صديقه ضياء الذي أكد الأمر مبعدين بذلك أي بذرة شك قد تساوره

-نعم صحيح هذا هو المهم حالياً لأن العم أبا وضاح مكانه مميز عندنا

عندها سرح وضاح متذكراً كيف كانت عليه أوضاع عائلتهم كونها من أصول أرستقراطية و عريقة في هذه المدينة ولكن بعد هذه التحولات التي صارت عبر تلك الفترات المتتالية تعثرت أوضاعهم المادية الأمر الذي قضى فيه جل عمره إلى أن أحيل إلى التقاعد و بالرغم من كل ذلك ثابرت أسرته الحياة على نفس النمط كونها لم تبارح منزلها الفاخر وسط ذاك الحي الراقي بإصرار من والدته و عدم موافقتها على الانتقال منه أو تبديله رغم محاولات والده بيع ذاك البيت باهظ الثمن و الذي كان سيرفع من مستوى معيشة العائلة

-لماذا لم توافقي على ما كان قد طرحه والدي ؟ لو تم ذلك لكنا نعيش الآن بمستوى عائلة أبي سامح... يا لهذه المظاهر الكاذبة التي لا تزالين متمسكة بها..! سامحك الله أيتها الغالية

-بم شردت يا وضاح ؟

-لقد سافرت بفكري إلى حيث يكون والدي و ما آلت إليه حالته

-وكل أمرك إلى الله فهو كفيل به و بنا أليس هذا ما يقولون في مثل هذه الحالات

-أحسنت ها أنت تتقدم

-هكذا ترى ؟

-نعم كوني طيلة الفترة السابقة كنت أحس بأنك تعيش هكذا حراً مبعداً نفسك عن كل تلك القضايا و التي كنت دائماً تقول هي من اختصاص من هم أكبر سناً مني

-نحن نمرر الوقت لذا لا تقف عند كل جملة أقولها

-نعم أنا أقدر وضعك جيداً لأنك تعيش في وسط يلزمك بأشياء قد لا ترضى عنها تماشياً مع الوضع الاجتماعي الذي تعيشون به أما نحن أو من هم دوننا مرتبة فكل اهتماماتهم تنحصر في تأمين أبسط متطلبات الحياة لذا ترى الكثيرين لا يستطيعون التأقلم فيضيعون بين آمالهم بالالتحاق بركب الطبقة العليا و ظروف طبقتهم التي ما أن يعودون إليها حتى يشعروا بذلك الفرق الواضح بين ما يحلمون به وبين واقعهم المتسم بالبساطة و الارتياح

-نعم كم هي جميلة تلك العلاقات البسيطة القائمة بين أفرادها ! هذا ما كنت أحسه عندما أنضم إليهم على سفرة غداء أو عشاء و التي تختتم بحفلة سمر رائعة

-لا أحد يرضى بواقعه

-هذا مؤكد كون الإنسان فطر على ذلك _ قالها و هو يوجه كلامه للبقية :

-مالكم.. لم أنتم خاملون هكذا أخشى أن تكونوا جياعاً

-نعم هو ما قلته

-معقول يا وضاح ..!؟

-نعم لذا علينا التوقف للاستراحة في أول مكان نجده أمامنا

-حاضر و لكن اصبروا قليلاً حتى نصل إلى تلك المنطقة ذات الهواء الجاف و البارد لننشط أجسادنا قليلاً

-لك ذلك

و بعد مسير لفترة من الزمن خاطب سامح مرافقيه

-هذه الاستراحة المفضلة لدي

-و هل نجد فيها ضالتنا ؟

-نعم

و بعد أن غسل المسافرون وجوههم متخلصين معنوياً من معاناة سفر دام ساعات .. جلسوا و تناولوا طعامهم و من بعدها شراباً ساخناً و غادروا بكل حيوية عدا شادي الذي عمل جاهداً لإخفاء ما يشعر به

-ما هي إلا دقائق و نصبح وسط هذه المدينة الرائعة ملعب الصبا و الشباب.. بالرغم من كل ملوثاتها تبقى أجمل مدينة في هذا الكون

-نطقت صدقاً يا سامح لأننا لو درنا حول العالم ما كنا لنجد أجمل من هذه البقعة المقتطعة من جنة الله

-لقد أجدت الوصف يا وضاح فتلك المدينة و بالرغم مما أصابها من دمار عبر العصور تبقى روضة غناء على مدار الزمن بالرغم من ذاك المارد الإسمنتي الذي أطبق على رئتها

-هذه من الأخطاء الجسيمة التي يقع فيها الإنسان كون تلك الدوحة الغناء كانت هي الرئة التي تتنفس بها عبر الزمن كان عليهم التمدد نحو المناطق الجرداء و أحيائها

-سنقصد منزلكم أولاً

-نعم إن لم يكن عند أحدكم مانع

-نحن موافقون قالها الجميع مرة واحدة

-أسمعت نحن في خدمة الطيبين أمثالك

-شكراً.. ألم أقل لك أنك تتقدم

-عدت لذلك ثانية

-أنت من يعيدني إلى ذلك المضمار

-و أنت لا تستطيع تمرير أي شيء

-هذا طبعي و الطبع غلاب

-لا يستطيع أي منا مجاراتك فأنت ماهر و جاهز للرد تماماً ... هذا هو بيتكم

-أخيراً وصلنا... اقترب قليلاً فهناك موقف خاص بنا

-خاص ..!؟

-نعم هذا ما جهدت عليه والدتي لأنها كانت تأمل بامتلاك سيارة خاصة

-أنتم تملكون سيارة

-كانت سيارة حكومية

-نقف هنا

-نعم اركن سيارتك قريباً من الشجرة

-تفضلوا

-لا سنبقى في السيارة ريثما تستعلم عن آخر المستجدات و هل العم أبو وضاح هنا

-أنا متأكد من أنه لم يغادر المنزل

-لم أنت متأكد هكذا ؟

-لأنني أعرف والدي جيداً فهو ممن لا يحبذون المشافي و لا ارتيادها حتى للزيارة

-إن كان ما تقوله صحيحاً هيا بنا يا أعزائي

-إذاً اتبعوني

-سنتبعك عبر السلم أما أنت فاستقل المصعد لتكون باستقبالنا قالها شادي غامزاً

-معك حق اتبعوني

ما إن صار الجميع أمام باب المنزل حتى انفرج ليظهر منه وضاح مبتسماً و مرحباً بهم كصاحب بيت يستقبل ضيوفاً أعزاء

-كيف هي حالة العم أبو وضاح ؟

-جيدة و الحمد لله كانت أزمة عابرة

-الحمد لله.. هذا ما نأمله قالها الجميع

-شكراً تفضلوا و خذوا قسطاً من الراحة

-معك حق نحن بحاجة لذلك

-اعتبروه منزلكم سأتغيب لبعض الوقت وأعود

-لا عليك فهذا منزلنا

غاب لدقائق ثم عاد برفقة والده و والدته

-كيف كانت رحلتكم ؟ قالها أبو وضاح بعد أن رحب بهم

-ممتازة.. و لكن كيف هي حالتك الصحية ؟

-الحمد لله كانت أزمة و عبرت

-الحمد لله نعم الحمد لله على كل ما يأتينا منه

أكد ذلك سامح باقتضاب كونه أحس بشيء غامض يتسلل من بين كلمات أبي وضاح

-نعم يا ولدي علينا القبول بكل ما تفرضه علينا إرادة الخالق أياً كانت

-هذا مؤكد لكن ما الداعي لتكرار ذلك ؟

-يا ولدي أريد منكم أن تكونوا على قدر المواقف دائماً لتتمكنوا من تجاوز كل عقبة قد تصادفكم

-نعم صحيح لكن كلامك بدأ يقلقني

-للمؤمن قلب يدله قالها و هو يلتفت نحو أم وضاح

-يعني أن هناك شيء ما تقدم له

-نعم

-ما هو ؟

-البقية في حياتكم

-بمن ؟

-بوالدكم

-مات ؟

-نعم

-متى ؟

-يوم أمس بكل أسف

-يا إلهي..! قالها و هو يمسك برأسه بينما أخوه و صديقاه استسلما لموجة من بكاء صامت

-يا أولادي كما سبق و أسلفت هذا أمر من سنن الحياة فكل كائن مصيره إلى الموت لهذا أرجو من الله أن يمنحنا و إياكم الصبر

لم يرد أحد.. بينما قالت أم وضاح:

-قوموا يا أولادي و اغتسلوا و تجملوا بالصبر لأن ما ينتظركم قاس جداً كان الله في عونكم و عوننا قم يا وضاح قدهم إلى حيث الحمامات

-حاضر.. هيا بنا يا شباب فأنتم رجال كما عهدتكم

هز سامح رأسه و قام ليتبعه الجميع وصل الجميع و كان في مقدمتهم أبو وضاح و زوجته لاقتهم أم سامح مولولة برؤية ولديها

-آه يا أحبائي لقد فارقنا والدكم

-تجملي بالصبر يا أختاه هذا قضاء الله

-كيف لي أن أصبر و مصيبتي كبيرة

-أقدر شعورك لكن ما باليد حيلة

-أماه كيف أنت ؟ قالها وضاح و هو يعانقها

-ولدي.. صغيري كيف حالك ؟ كيف علمتم بالأمر ؟

-علمنا و كفى المهم أنت

-أنا بخير يا ولدي و بالأخص عندما رأيتكم

-أولادك حفظهم الله قد أصبحوا رجالاً يا أختاه

-تفضلوا جميعاً .. قالتها و هي تقود أم وضاح أمام الجميع

-من أوصل لك هذا الخبر سألها سامح ؟

-خالتك أم ساهر

-هل هي من اكتشف ذلك ؟

-نعم كونها كانت تشاركه إدارة الشركة الخاصة بهما

-هل علم الجميع بالأمر ؟

-كلا

-لماذا ؟

-هذه تعليمات المحقق لذا علينا الالتزام بها و أنا في غاية الحرج

-لا عليك سنتولى نحن الأمر

-كيف ؟

-سنقول نحن من اتصل بالأولاد و أخبرهم

-هكذا أفضل

-اهتمي أنت بأولادك و اتركي الباقي لنا

-أنت محقة هيا بنا قالتها أم سامح لأم وضاح بعد أن أنهى وضاح أسئلته و غادر دخلتا و كل منهما تحمل صينية عليها بعض السندوتشات و إبريق شاي وبعض الكؤوس

-تفضلوا و تناولوا شيئاً لأن ما ينتظركم كبير و شاق عندها بادر كل من شادي و ضياء و استلم كل منهما صينية و قام بتوزيع ما حوته على الموجودين و هم بغمرة ذلك رن جرس الهاتف.. قام سامح و تولى الرد

-أهلاً خالتي

-متى أتيتم ؟

-منذ قليل

-كيف علمتم بالأمر ؟

-علمنا و انتهى

-أين والدتك ؟

-أتريدين مخاطبتها ؟

-نعم و لكن قبل كل شيء هل هي بحالة جيدة ؟

-نعم بخير اطمئني

-أمي كلمي خالتي أم ساهر

-أهلاً حبيبتي كيف أصبحت ؟

-الحمد لله طمئنيني عن حالك

-أنا بخير

-هذا هو المهم الآن لأن ما ينتظرنا صعب

-نعم كان الله في عوننا جميعاً

-أريد أن أطلب منك شيئاً

-قولي ما هو ؟

-أريد أن تتصلي بي عندما يطلبك المحقق لنترافق سوية

-اتفقنا

-ممتاز هل من خدمة أؤديها لك ؟

-لا شكراً لك

-إلى اللقاء

-مع السلامة

-كانت أم ساهر ... قالتها أم وضاح إرضاءً لنظرات الجميع

-كيف وجدتها ؟

-من نبرة صوتها و حدتها متماسكة

-هذا أفضل للجميع

-معك حق

-كيف أنت يا شادي هل استمتعتم بالرحلة ؟ قالتها أم وضاح كسراً لحدة الموقف

-كانت رائعة لولا هذه الكارثة

-يا ولدي الحياة لا تدوم على حال

هز شادي رأسه كمن لا يعرف كيف يجيب

-ألم يضايقكم وضاح بجداله ؟

-نعم كثيراً

-الآراء تختلف يا ولدي لذا من المستحسن أن يتم العمل على إيجاد نقاط تفاهم يتم الارتكاز عليها لبناء علاقة صداقة بين الأفراد

-إلى أين وصلت بالتعليم يا خالتي ؟

-إلى المرحلة الثانوية

-أنت تحملين الشهادة الإعدادية منذ زمن بعيد

-نعم

-و هل كانت المناهج كما هي عليه الآن ؟

-كانت أصعب لعدم توفر مساعدات التدريس

-لم لم تكملي دراستك ؟

-النصيب يا ولدي كون عمك أبو وضاح تقدم لخطبتي وقتها و كان من الصعب علي التوفيق بين مسؤوليات البيت و الدراسة

-هل كان وضاح شقياً في صغره ؟

-كثيراً و كان يلزمه أكثر من شخص للعناية به

-وضعه الحالي لا يدل على ذلك

-الإنسان يتغير يا ولدي

-هل أرضاك ما سمعته يا شادي ؟

-نعم

عندها دخلت شذا باكية قام أخواها و احتضناها و الدموع تنهمر عليها

تعالي يا بنيتي لأضمك إلى صدري قالتها أم سامح و هي تفتح ذراعيها لابنتها الصغيرة

أمام مدخل البناية التي تقع فيها شقة ابوسامح كانت تقف سيارة أجرة صفراء و خلف مقودها جلس شخص يدخن بكل هدوء كمن ينتظر زبوناً غادر على أمل أن يعود

ما هي إلا لحظات حتى ظهر شخص من مدخل البناية و استقل السيارة و بعد أن تبادلا أطراف الحديث غادرا المكان

وفي الطريق أخذ الشخص الذي ركب جانب السائق جهازه و اتصل

-احترامي سيدي

-ما هو جديدك ؟

-لقد حضر إلى الشقة شخصان يرتديان ثياباً رسمية و يضعان على أعينهما نظارات شمسية و ما إن شاهدا الختم حتى غادرا مسرعين و نحن نتتبعهما الآن قالها و هو يراقب سيارة سوداء حديثة الطراز

-هل سجلتم رقمها ؟

-نعم و هو من اليسار إلى اليمين 5656

-تابعا عملكما و أبلغاني بكل المستجدات

-حاضر.. قالها و من بعدها ثبت الجهاز على الحامل الموجود في تابلو السيارة.. و تلفت نحو السائق قائلاً

- لا تدعهم يغيبون عن ناظرك

-لا عليك فأنا أراهم جيداً

مضت فترة و السيارتان تجوبان شوارع المدينة إلى أن انحرفت السيارة الأولى لتسلك درباً فرعياً قليل العرض اقتربا ليصيرا قبالته توقفا قليلاً ثم ما لبث السائق أن نزل من السيارة و دار حولها متفقداً إطاراتها ركلاً يقدمه كعادة معظم السائقين بينما تابع الشخص الآخر حركة السيارة التي دخلت بوابة كبيرة فتحت لمجرد وصولها لقبالته كلم رئيسه قائلاً

-دخلت السيارة الفيلا الرابعة في الشارع المتفرع من الأوتوستراد و لغاية هذه اللحظة لم تغادر

-حاولا التعرف على اسم المالك من اللوحة المثبتة على البوابة

-حاضر

-بسرعة قبل أن تغادر

-كن مطمئناً سيدي _ قالها و هو يشير للسائق بالتقدم و لكن عن طريق آخر ليكون مرورهم من الجهة الثانية دار حول كتلة الأبنية و سلكا الشارع من جهته الثانية و مرا من أمام مدخل الفيلا ببطء تمكن خلال ذلك المرافق تسجيل اسم المالك و رقم الفيلا و كذلك من أخذ فكرة عن مساحتها و ما تحويه من الخارج

-الفيلا تعود للسيد شافع بك سيدي

-شافع بك الرماح ؟

-نعم

-هذا الرجل من كبار التجار و أكثرهم نشاطاً داخل البلد و خارجه _ قالها موجهاً كلامه لمعاونه... رفع يده عن سماعة الجهاز و ليتابع الكلام مع العناصر

-ابقوا في المنطقة و انتظروا التعليمات

عندها نزل السائق و بدأ تبديل إحدى إطارات السيارة ليبدو وقوفهما منطقياً و مبرراً

انفتح باب الفيلا لتخرج منه تلك السيارة مرت من جانبهم دون أن يتمكنوا من معرفة من كان يستقلها كون زجاجها من النوع الكتيم الأسود

تابعاها من بعيد إلى أن توقفت أمام مبنىً عال و نزل منها شخص و دخل ذاك المبنى ليغيب قليلاً و من ثم يخرج و يغادر لتعود السيارة إلى نفس الفيلا

بعد أن تلقى المحقق آخر المعلومات تلفت نحو معاونه قائلاً :

-ما الرابط بين شافع بك و ابوسامح حسب رأيك ؟

-كلاهما من كبار رجال الأعمال في هذا البلد فمن المنطقي أن تكون بينهما تعاملات

-لا أدري لكني أحس بأن هناك حلقة مفقودة علينا كشف هذا الغموض

-هذا ما كنت سأقترحه

-إذا عليك متابعة ذلك لنحل تلك الأحجية

-حاضر

-و لكن قل لي قبل كل ذلك هل أحضرت تلك التقارير ؟

-نعم سيدي

-هل ضمنها تقرير مكتب الشيفرات ؟

-نعم .. و ناوله مظروفاً مختوماً بختم تلك الجهة

فتح المغلف و تصفح محتوياته ورقة ورقة إلى أن استوقفته ورقة دقق فيها كثيراً ثم قال

-اعتقد بأني أمسكت بطرف الخيط

-أي خيط سيدي لأن هذه القضية مكونة من عدة خيوط ؟

-خيط السيد شافع بك

-أرني ذلك من فضلك

-خذ و اقرأ هذه

قرأ المعاون الورقة بتمعن إلى أن أنهاها و أعادها للمحقق و قال

-نعم صحيح من هنا سنبدأ

-هذا حافز آخر يدفع بنا لهذا الاتجاه لذا عليك المباشرة و لكن بكل هدوء و روية

-حاضر... استأذن.. احترامي

-مع السلامة

في مكتبه رن المعاون الجرس دخل الحاجب ملبياً

-أحضر لي هذه الملفات من الأرشيف .. قالها و هو يناوله ورقة حوت كل ما طلبه

-حاضر سيدي

غاب لفترة ثم عاد و هو يحمل عدة ملفات قام بوضعها أمام معاون المحقق على الطاولة كل ذلك حدث و المعاون شارد الذهن و هو يركز نظره باتجاه المروحة السقفية و يحرك جسده على الكرسي الدوار كالنواس ، أعاده لواقعه صوت حاجبه و هو يقول :

-هل من أوامر أخرى سيدي ؟

-آه, لا لا انصرف

باشر المعاون فتح الملفات الواحد تلو الآخر إلى أن لفت انتباهه أحدها و كان يحمل رقم 161 فتحه و هو يهز رأسه استهجاناً محدثاً نفسه :

-القضية رقم 161 ..... و سرح بأفكاره متذكراً بعضاً من تفاصيلها كونه شارك بكل مراحل فك رموزها كونها كانت من أصعب القضايا التي تولى التحقيق فيها خلال خدمته في ذاك السلك و التي كانت تتعلق بمخالفات قام بها أصحاب تلك الشركة و التي ساهم بكشفها السيد شافع كونه أبلغ عنها رسمياً

فتح الملف و بدأ بقراءته ورقة ورقة بكل سهولة كونه هو من قام بتلقين الكاتب تفاصيلها و كان كلما قرأ سطراً إضافياً كانت تلك القضية تزداد وضوحاً لدرجة صار معها و كأنه ينهي كتابتها الآن

حضرت شقيقة السيدة صفاء زوجة ابوسامح الأولى صباحاً إلى منزل شقيقتها و علامات الذهول ظاهرة على تقاسيم وجهها الطفولي الناعم لاقت شقيقتها صائحة

-أختاه كم مصيبتكم كبيرة !

-أهلاً هدباء من أخبرك ؟

-سمعت بالنبأ

-ممن ؟

-من مصادري و أرجو ألا تحرجيني بالإجابة

-لك ذلك تفضلي بالجلوس

-أراك قد تهيأت تماماً هل تنوين الخروج ؟

-لا أبداً لكن علي أن أتجهز تحسباً لأي طارئ

-هل ستستدعين ؟

-ربما

-إلى أي جهة ؟

-التحقيق

-لماذا هل بالأمر ما يقلق ؟

-كلا لكن لهذا الأمر رهبته

-تحلي بالصبر فالأمور ستسير كما تريدين

-كلي رغبة بمعرفة المستجدات

-ستعرفين كل شيء في وقته اطمئني

-نعم و لكن من يعش المصيبة يعرف معناها وحده

-قلبنا معكم يا أختاه

-أشكرك.. هل أحضرت معك جهازك الخليوي؟

-نعم

-أعطني إياه

-لماذا؟

-أريد إبلاغ ابنتي بالأمر

-لم لا تتصلين بهما من هاتفك؟

-لا أستطيع ذلك هذه تعليمات المحقق

-تفضلي قالتها بازدراء لقرار المحقق هذا

-ألو حياتي كيف أنت؟ و ما هي أخبار زوجك و أطفالك؟

-الحمد لله يا أمي.. كيف صحتك أنت و أبي ؟

-أبوك.. آه يا ابنتي

-خيراً هل حدث له مكروه؟

-نعم يا بنيتي

-ما الذي حدث أخبريني؟

-لقد توفي والدك

-ماذا ؟

-كما سمعت لقد مات والدك يوم أمس

-كيف ؟

-وجد ميتاً في شقته الخاصة

-يا إلهي..! قالتها باكية

-أمي حبيبتي ردي علي أين ذهبت ؟

-أنا هنا معك .. قالتها باكية

-أخبرتك بذلك رغم تحذيرات المحقق كي لا يصلك النبأ من أية جهة أخرى

-حسناً فعلت يا أمي و سأخبر أختي و سنأتيكم في أقرب وقت

-خيراً تفعلين إلى اللقاء أقفلت الخط و أعادت الجهاز لشقيقتها

-هل ارتحت الآن ؟

-بعض الشيء

-الحمد لله.. ما الذي ستفعلينه ؟

-لا شيء نجلس و ننتظر

-هل ستخرجين ؟

-كلا

-لماذا و هل حذروك من هذا أيضاً ؟

-نعم

-إن كان الأمر كذلك فلا مفر.. هل بإمكاني فعل شيء ؟

-لا شكراً ابقي قليلاً و لنتناول شيئاً ما الذي تفضلينه ؟

-قهوة

-سميحة أحضري لنا قهوة

-حاضر سيدتي

و ما هي إلا لحظات حتى عادت سميحة و هي تحمل صينية و عليها فنجانا قهوة و كأس ماء و منفضة السجائر ، قدمت لهما القهوة و غادرت

-الآن هل كونت فكرة عما حصل ؟

-لدي بعض الشكوك

-حول ماذا ؟

-أن يكون خلفية ما حدث علاقة نسائية

-نسائية..!؟ لا أظن ذلك

-لم تقولين هذا ؟

-لأنني أستبعد أن يقوم بشيء من هذا القبيل

-أنا أخالفك الرأي

-هل لديك معطيات محددة ؟

-ليس تماماً إلا أنه كان في الفترة الأخيرة يتعمد الابتعاد عنا نحن زوجاته الثلاث

-و ما الغريب في ذلك ؟

-كيف تسألين و أنت خير من يعرف الرجال و تقلبات مزاجهم

-كيف ؟

-لأن معظم الرجال عندما يرغبون بإقامة علاقة جديدة أول ما يقدمون عليه هو الابتعاد عن زوجاتهم و بيوتهم

-نعم و لكن في حالة المرحوم هذا غير ممكن

-لماذا ؟

-لأنه إنسان ناضج و ذو تجربة كبيرة, لذا استبعد ذلك

-أخالفك الرأي كونه كان في الفترة الأخيرة كثير الشكوك و الارتباك و كان يجفل من أي حركة مفاجئة

-منذ متى هو على هذه الحال ؟

-له أكثر من ثلاثة أشهر

-لم تخبريني بالأمر سابقاً

-لم أخبرك بذلك

- كنت سأتمكن من البحث في حيثيات حياته و بكل تأكيد كنت سأصل إلى نتيجة فأنت تعرفيني جيداً

-نعم لأجل هذا لم أخبرك كيلا تثيري المشاكل

-و هل أثير المشاكل في العادة؟

-ليس بالمعنى الدقيق للكلمة ما أردت قوله أنك حشرية بعض الشيء

-و هل هذه صفة سيئة ؟

-كلا و لكنها تثير التحفظات في كثير من الأحيان

-أنت تظلميني فيما قلته يا أختي دعينا من كل هذا الآن قولي لي ما الذي علينا فعله؟

-سننتظر لنستجلي الأمر

-كيف لي أن أنتظر!؟

-سنقوم بذلك رغم قساوة الموقف

-معك حق.. قالتها و هي ترشف قهوتها و هم كذلك قرع جرس الباب, فتحت الخادمة لتدخل فتحية بكل فوضويتها لتحتضن صفاء و تشد عليها و هي تقول قلبي معك

-تفضلي اجلسي من الذي أخبرك بالأمر؟

-شقيقتك

عندها رمقت هدباء بنظرة عتب واضحة جعلتها تطرق خجلاً

-أشكر لك مسعاك

-هذا واجبي فأنت كأختي

-أكرر شكري قدمي لها القهوة يا سميحة

-حاضر قالتها و هي تغادر باتجاه المطبخ

-هل من جديد؟

-كلا

-ما الذي تنويان فعله؟

-لا شيء

-و هل سنبقى هكذا؟

-نعم

-لم علينا فعل ذلك؟

-هذه تعليمات المحقق

-يا لهذا المحقق و أوامره !

-هذا عمله و ما علينا سوى احترام رأيه

-أعاننا الله على هذه اللحظات

-صدقت

قدمت سميحة القهوة لفتحية و غادرت بعد أن قالت

-هل من خدمة أخرى ؟

-شكراً سميحة اذهبي و تابعي عملك

قولي لي يا فتحية هل أخبرت أحداً بالأمر؟

-أهل بيتي فحسب

-فقط؟

-نعم

-إن كان الأمر ضمن هذه الحدود فهو عادي .. قالتها السيدة صفاء و هي تلوح برأسها

-أرادت شقيقتي الصغرى هند مرافقتي

-لم لم تحضريها

-حسبت أن في الأمر ما يحرج

-حسناً فعلت كي لا تحشريها في هذا الأمر قالتها هدباء

-معك حق هذا ما فكرت به تماماً

نهض المحقق و قصد فيلا ابوسامح الكائنة على أطراف الضاحية الجنوبية قدم نفسه للحارس و عرفه بسبب قدومه

-أنا تحت أمرك سيدي

-أريد الإطلاع على كل محتويات المكان

-تفضل سيدي من أين تحب أن تبدأ ؟

-من الداخل

-من الداخل إذاً استأذنكم لإحضار المفاتيح من الخزانة

-بسرعة من فضلك

-حاضر قالها و هو يغادر باتجاه المحرس و بعد قليل عاد

-تفضل سيدي هيا بنا ... و التفت ناحية مرافقيه و قال: ابقوا هنا

-حاضر سيدي

دخل المحقق و الحارس , عندها سأل أين يقع المكتب؟

-هنا سيدي في آخر الممر

-اسبقني و افتح الباب

-حاضر قالها و هو يهرول باتجاه الباب و قام بفتحه و انتظر وصول المحقق

-دخل المحقق المكتب و قال للحارس ابق خارجاً حتى أطلبك وقف الحارس صامتاً وما لبث أن بدأ يحدث نفسه

-لم كل هذه الإجراءات ؟ لم أمرني بألا أتصل بأحد ؟ لم منعني من الاتصال حتى بالسيدة (أم ساهر)؟ هل حدث شيء؟ أخاف أن تطالني المسؤولية عن عدم إخبار المالكين لا أدري جعل الله النهاية على خير.... بدأ المحقق التفتيش عن كل شيء راود فكره رغم جهله بحقيقة ما احتوته أدراج المكتب بحث بدقة متناهية و لفترة لا بأس بها إلى أن وجد ظرفاً مختوماً حمله و فتحه بواسطة فتاحة المظاريف ليدهش بما رآه و قرأه على أول ورقة و ضمن قوسين كبيرين و بخط عريض (أنا لست كذلك)

قلب محتويات ذاك المظروف لكنه لم يجد شيئاً رغم كل ذلك و من ثم قام بنزع المفتاح من السلسلة و وضعه في جيبه و غادر بعد أن أمر الحارس بألا يدخل الفيلا أي شخص كان إن لم يكن يحمل أمراً ممهوراً منه شخصياً

-حاضر سيدي

-أقفل الفيلا والبث في محرسك إلى أن أستدعيك

-حاضر

أثناء العودة فتح المظروف و أعاد قراءة تلك العبارة أنا لست كذلك أعادها عدة مرات و هو يلوح برأسه, و يحدث نفسه

-ما الذي قصده من تلك العبارة ..؟ لا أدري و لكن هناك سر وراء ذلك و علي كشفه بأسرع وقت كي لا تضيع الحقائق

دخل مكتبه شارد اللب مفكراً فيما وجده إلا أنه كان قد غاب عن ذهنه أن ابوسامح قد امتلك هذه الفيلا حديثاً و ذلك بعد أن فصل شراكته مع شافع بك و كان قد أخفى ذلك عن زوجاته الثلاث عرف ذلك المحقق من مستندات الملف الذي أحضره معه

لم كتب تلك العبارة و هو المعروف بدقة رزانته؟ لأجل هذا فإنه لم يقم بتدوين هذه العبارة و بهذا الشكل الواضح على هذه الأوراق، ما هي علاقة شافع بك بكل ما حصل ..؟ هل له أو لشركته أو لأي من أتباعه صلة بذلك؟ قالها المعاون و هو يتصفح ما بين يديه من ملفات بقي هكذا لفترة من الزمن إلى أن رن جرس الهاتف و كان على الطرف الآخر المحقق

-احترامي سيدي

-هل من جديد؟

-بين يدي ملفات شركة السيد شافع و أنا أقوم بدراستها

-ممتاز هذا ما كنت سأطلب منك

-هل تراودكم نفس الأفكار بخصوص شركة أبي شافع ؟

-نعم و لكن أرجو أن يكون ظننا في غير مكانه

-لماذا سيدي؟

-لأن هذا الرجل من ركائز الحركة الاقتصادية في البلد و إن كان له أو لشركته علاقة بالأمر فستكون العاقبة وخيمة

-ربما سيدي رغم أني أخالفكم الرأي

-لماذا ؟

-في مجال عملنا كل الاحتمالات ممكنة و لا أحد يمكن تغطيته أو استبعاده لأي سبب كان كون الحقيقة قد تكون مختبئة تحت قشة كم يقول المثل

-كل شيء ممكن لذا عليك المثابرة و بكل تأن و سرية و دون أية تسريبات مهما كانت صغيرة و تافهة

-حاضر.. هذا من المسلمات لدينا

أغلق السماعة و هو يحدث نفسه قائلاً

-لماذا فصل أبو سامح علاقته بشركة شافع بك؟ سؤال مهم يجب توضيحه و بالأخص أن ذلك تم بشكل مفاجئ و منذ فترة قصيرة هذا أمر يجب السر فيه لمعرفة خفاياه و كشفها قبل أن يتم التلاعب بها ... أتم جملته ثم قام من خلف مكتبه و غادر بعد أن أغلق الباب و قفله بمفتاحه الخاص ، ركب سيارته و غادر قاصداً غرفة تجارة العاصمة بحجة زيارة صديقه القديم سليمان و الذي كان قد مضى على لقائهما آخر مرة أكثر من عام ، استقبله سليمان بكل بشاشة و قدم له كل ما يستحق من ضيافة و هو يرمقه من فوق نظارته التي اعتاد أن ينزلها على أنفه و كأن لسان حاله يقول :

"ما الذي أتى بك؟ فأنت لا تزور أحداً إلا لغاية في نفسك"

-ما الذي يشغل بالك؟ تفضل.. قالها وهو يقدم له فنجان القهوة ويجلس قبالته أمام مكتبه

-خيراً أبا حسام ما الأمر الهام الذي قادك ؟

-فعلاً أتيت لأمر هام بل هام جداً و سري للغاية و أنا هنا بصفة غير رسمية عدني أن يبقى ما سنقوله سراً بيننا فقط إلى أن يحين الوقت الملائم

-أنا تحت أمرك ما هو هذا الشيء؟

-أمر قد يكون له علاقة تمس بأمن البلد

-إن كان الأمر فأنا و كل إمكاناتي و معلوماتي تحت أمرك

-هذا ليس بالغريب عنك لذا أرجو أن تغلق الباب و تمنع أي شخص من الدخول

-حاضر.. قالها و هو يضغط على زر استدعاء الحاجب

-حاضر أستاذ

-أغلق الباب و لا تدع أحداً يدخل علينا حتى آمر بذلك

-حاضر أستاذ

-قل ما لديك أنا تحت أمرك

-أريد الاطلاع على كل متعلقات شركات شافع بك

-لماذا..؟ هل هناك ما يريب في أعماله ؟

-حتى الآن لا و لكن كل شيء جائز

-أية ملفات تريد؟ أعماله التجارية الداخلية أم الخارجية ؟

-سأبدأ بالخارجية

-ستبدأ من الآن أم في أوقات سابقة ؟

-لا أعماله في عشر السنوات الأخيرة

-أمهلني بضع دقائق و سآتيك بكل ما طلبت ولكن تباعاً حتى لا أثير ريبة أحد كون لكل شركة عيونها في كل مكان و بالأخص عندنا

-تصرف كما يحلو لك

-أستأذنك

-تفضل أنا بانتظارك

في شقتها جلست أم ساهر بعد أن غادرت مركز الحجز و أخذت بتفحص محتويات ذاك الكيس الشهير و هي في غاية القلق و التوتر نتيجة لما مرت به هذا الصباح وقعت بيدها تلك السلسلة رفعتها و بدأت تتفحص كل مفتاح على حدة عزلت اثنين منها عرفت لأي الأبواب يعودان أما المفاتيح الثلاثة المتبقية فلم تستطع التعرف عليها

-لأي الأبواب تعودون و كيف وصلتم إلى هنا؟ هذا الأمر محير _ قالت ذلك و هي تتابع عملها إلى أن لفت انتباهها رقم هاتف غريب عنها تماماً و كان مدوناً على ورقة طويت جيداً و كان ذاك الرقم غريب كل الغرابة كونها لم تستعمله و لا لم تشاهد حتى زوجها يتعامل به _ لمن يعود هذا الرقم ألرجل أو لامرأة ؟ على الأغلب هو لأنثى لأنه لم يقم بتدوينه في دفتر الهواتف ، سأتعرف على صاحبته و لكن بعد أن تهدأ الأمور كي لا أثير الانتباه .

دونت الرقم على مفكرتها الخاصة و كتبت أمامه مجهول مدت يدها و حملت تلك الحلقة المعدنية التي علقت بقطعة الجلد رفعتها و تفحصتها من كل جوانبها و بالأخص من الوسط أحست بشيء ما بداخلها حاولت فتحها بيدها لكنها فشلت عندها قامت و أحضرت سكيناً من المطبخ و قامت بفتحها من أحد جوانبها وسعت تلك الفتحة حتى تمكنت من سحب ما كان في داخلها و كان عبارة عن كيس من النايلون أحكم إغلاقه على ورقة طويت بشكل جيد شقت الكيس و أخرجت الورقة و فتحتها لتجدها مليئة بالأرقام و من بينها أرقام هواتف محلية و دولية عرفت بعضها و غاب عنها البعض الآخر لذا قامت و أحضرت مفكرة الهواتف لتطابق النداءات و لتفرق لأي البلدان تعود و من بعدها ستعرف أصحابها جلست لبرهة بعد أن أعادت محتويات الكيس إلى داخله رن جرس الهاتف و كان من الجهة الأخرى صفوان

-أهلاً صفوان لم تتصل ألم أقل لك بأن تكف عن ذلك هذه الفترة ؟

-حدث أمر طارئ لذا وجدت أن من واجبي إخبارك علك تنتبهين

-ما هو؟

-لقد أبلغت من مكتب السيد أبي سامح هنا في بيروت بأن هناك طرداً قد وصل من إحدى الدول الأجنبية يجب أن يصل إليه بأقصى سرعة

-هل علمت شيئاً عن محتواه؟

-كلا و لكن إلحاح ذاك الموظف أثار ريبتي

-ما العمل برأيك؟

-رأيي أن تتصلي بالمكتب و تعطي التعليمات كي يسلموني إياه

-بسيطة سأفعل... مباشرة قامت وقصدت المكتب و من هناك أعطت أوامرها لمكتب بيروت و من بعدها أعلمت صفوان بذلك وبعد فترة لا بأس بها اتصل صفوان و أبلغها بأنه قد استلم الطرد و يستأذنها بفتحه

-لك ذلك لكن دون أن تعبث بشيء و بالأخص إن كان هناك أرقام هواتف

-حاضر إلى اللقاء

-إلى اللقاء . قالتها و هي تغلق السماعة و تتابع حديثها مع نفسها ترى ما الذي يحويه ذاك الطرد و أية مفاجآت تخبئها لنا أيها الزوج الغالي سننتظر و نرى الآتي قريب

عادت هدباء إلى منزلها و عقلها و كل ملكاتها تتحرك بسرعة الضوء و جل تفكيرها ينحصر في كيفية الوصول لإحدى سكرتيرات صهرها الراحل ، و هي في قمة انشغالها هذه تذكرت صديقتها شهيرة و التي تربطها بسكرتيرة أبي سامح في مكتب الشحن سهير علاقة جيدة ، و هناك في منزل شهيرة سألت هدباء صديقتها بضع أسئلة عامة و من ثم حولت وجهة أسئلتها ناحية سهير ، بدأت بالعموميات إلى أن علمت عنها كل شيء ، استغربت شهيرة هذه الزيارة في البداية و ما أكد ريبتها هذا الإصرار في الأسئلة و عن سهير بالذات سألتها قائلة:

-هدباء قولي لي بصراحة ما الذي يشغل بالك؟

-لا شيء لكني أحب أن أعرف كل شيء عن الذين يعملون في شركات صهري

-لم تقنعني إجابتك.. هل هناك من شيء يتعلق بسهير؟

-بصراحة نعم أريد الاجتماع بها لأستعلم منها بعض الأشياء

-هذه هي القضية لك ذلك سأتصل بها و أرتب لك لقاء معها رفعت السماعة وطلبت سهير في منزلها لترد هي بالذات ، استغربت شهيرة وجود سهير في البيت في مثل هذا الوقت سألتها عن ذلك

-لقد منحني السيد أبو سامح إجازة لمدة أسبوع كونه قرر السفر للاستجمام

-عندي شخص يريد التحدث إليك إن لم يكن لديك مانع

-من هو؟

-الآنسة هدباء

-هدباء عندك ؟

-نعم خذي كلميها

-آنسة سهير كيف حالك؟

-الحمد لله آنسة هدباء كيف الجميع من حولك؟

-الكل بخير آنستي أريد من وقتك بضع دقائق إن لم يكن لديك مانع

-أهلاً و سهلاً تفضلي أنا في المنزل اصطحبي شهيرة معك

في منزل سهير التقين و مباشرة انهالت عليها هدباء بالأسئلة لدرجة أنها لم تدعها تلتقط أنفاسها وسط دهشة شهيرة التي قامت بلكزها تنبيهاً لها

-آه أنا آسفة لقد أرهقتك بأسئلتي أعتذر ثانية

-لا عليك

-كيف تمضين وقتك ؟ سألتها شهيرة

-عندما تسنح لي الفرصة بأن أعود باكراً أو أن أحصل على إجازة أقصد السوق و أشتري حاجات تكفي لأيام عدة كون وقت عملي في المكتب طويل جداً

-كم سكرتيرة أنتنّ في الشركة ؟

-نحن ثلاثة

-ألا توجد واحدة أخرى في مكان آخر؟

-في مقرنا نحن ثلاثة أما في الأماكن الأخرى فلا أدري

-هل تتردد عليه أو تتصل به سيدات بالعادة؟

-نعم ممن لديهن عمل

-و هل من بينهن من هي على علاقة أوسع من ذلك معه؟

-نعم هناك واحدة تتصل به يومياً تقريباً

-من تكون؟

-أعتقد أنها سكرتيرة إحدى شركات الاستثمار هنا

-ما كان طبيعة اتصالاتها؟

-على الأغلب كانت تتصل بشأن العمل

-ما اسمها و أين تقيم إن كنت تعلمين؟

-تدعى وفاء و تعمل في شركة الاستثمار الدولية

-هل لديك رقم هاتفها؟

-في المكتب نعم

-هل كانت تتصل به عبر هاتفه النقال أم عبر هاتف الشركة؟

-في معظم الأحيان على هاتف الشركة و إن كان غير ذلك فلست أدري لأني لا أجالسه في المكتب

-هل تسدين لي خدمة؟

-لك ما تريدين

-أريد التعرف بتلك المرأة

-بسيطة أستطيع الذهاب و إياك إلى مقر الشركة و من هناك نتصل بها ونحدد موعداً لذلك

-لا داعي للذهاب إلى الشركة الآن و بالأخص أنت في حالة إجازة

-لا مشكلة لدي.. أوه لقد خطرت لي فكرة انتظراني لحظة من فضلكم و غادرت الغرفة و بعد قليل عادت

-هذا رقم الشركة تذكرت ذلك الآن كون أحد مندوبيها حضر منذ فترة وأعطاني هذه البطاقة سنتصل بها الآن

-ممتاز حلت المشكلة

-ألو.. وفاء كيف حالك؟ أنا سهير

-أهلاً بك خيراً

-عندي شخص يريد التعرف عليك

-هاته كائناً من كان

-صباح الخير آنسة وفاء أنا هدباء شقيقة زوجة أبي سامح

-أهلاً بك آنستي هل من خدمة أقدمها لك

-نعم أريد الالتقاء بك إن لم يكن لديك مانع

-على الرحب و السعة تعالي الآن إن أردت

-أريد أن أراك خارج وقت الدوام

-حسناً السادسة مساء في منزلي سجلي العنوان

-اتفقنا

-إلى اللقاء آنستي

-إلى اللقاء....

.....

سيدي لقد غادرت شقيقة زوجة المنتحر بيت شقيقتها فما رأيكم

-دع زميلك يراقب و اتبعها

-حاضر سيدي قالها و هو يقود سيارته بعد أن أفهم زميله بما عليه فعله تبعها بسرعة إلى أن وقفت أمام مبنى في شارع فرعي ما أن دخلت البناية حتى كان في أثرها و تعرف على الشقة التي دخلتها و بسؤال غير مباشر لأحد عمال البناية تعرف على اسم ساكن الشقة و هي شهيرة و تعمل في إحدى الجهات الرسمية لمديرية علاقات عامة و بعد أن خرجت من تلك الشقة تبعها فوجدها تعود إلى منزل أختها زوجة ابو سامح و مساء قام بنفس الحركة ليرصد كل ماحدث و يبلغه لرئيسه الذي نقل المعلومات للمحقق بدوره

-لم تقوم هذه المرأة بكل تلك الحركات؟ و ما علاقة المدعوة شهيرة بكل بذلك؟ أما المرأة الثانية فأمرها مختلف كونها إحدى سكرتيرات ابو سامح التي يتوجب علينا وضعها تحت المراقبة

في منزل السيدة وفاء و بعد أن دخلت هدباء لتجلسها وفاء على أريكة مريحة وسط صالة فاخرة تدل على أن مالكة هذا البيت من ذوي الدخل المرتفع، و ما لفت انتباهها أكثر هو ذلك البار الذي يذخر بكل أنواع المشروبات يعني بصريح العبارة المنزل بكل محتوياته فخم

-خيراً إن شاء الله آنسة هدباء ما الأمر الهام الذي ذكرته و دفعك للقائي بهذه السرعة؟

-خيراً إن شاء الله اسمعي سيدتي أنا أملك مبلغاً من المال و أريد أن أستثمره لأستفيد من مردوده و بعد أن تقصيت أجمع كل من التقيتهم بلزوم اللجوء إليك لما لك من خبرة في هذا المجال

-أشكرك على ثقتك بي لكني لا أمارس أي عمل تجاري و العمل الوحيد الذي أجيده هو تنظيم إدارة الأعمال

-هذا هو ما أريده منك أن تدليني على جهة تكون موضع ثقتك

-لم لا تتعاملين مع السيد أبي سامح؟

-لا أريد أن أقع بأية إحراجات لذا أفضل التعامل مع جهة لا تربطني بها علاقة قرابة

-بالعكس السيد أبو سامح من الأشخاص المرموقين و الموثوق بهم في هذا البلد

-لا أشك بذلك ما قصدته إحراجاً معنوياً لا مادياً

-فهمت عليك أعدك بأن أعرض الأمر على الإدارة عندها و إن شاء الله يكون الرد إيجابياً

-أشكرك سلفاً

-على الرحب و السعة اعذريني سأعد شيئاً نشربه فالخادمة في إجازة حيث كنت مسافرة و عدت قبل قليل

-أهنئك بالسلامة

-شكراً أستأذن

غابت لفترة و من ثم عادت و هي تدفع أمامها عربة على سطحها طبقان من الحلوى و إبريق و فناجين من الخزف الفاخر قامت بملء الأكواب قدمت إحداها مع صحن الحلوى للآنسة هدباء ناصحة إياها بتذوقها كونها قد أحضرتها معها من لبنان

-هل كنت في لبنان؟

-نعم

-هل كانت رحلة عمل أم سياحة؟

-الاثنين معاً فهذه حياة من ينغمس بالعمل مع رجال الأعمال

-هل عملك يدر عليك دخلاً جيداً؟

-نعم بكل تأكيد و إلا لما كنت لأكبد نفسي كل هذا العناء

-ممتاز إذاً أنت تعرفين نسيبي أبا سامح

-نعم كما قلت لك فهو إنسان كامل الصفات و لا توجد حتى الآن أية شائبة تدنس نشاطاته

-نعم فهو يستحق الاحترام و لكن لرجال الأعمال بالإجمال حياتهم الخاصة و بالتالي علاقاتهم الخاصة و بالأخص النسائية

-نعم بشكل عام هم هكذا

-و نسيبي هل هو مثلهم؟

-ربما

-تستطيعين الثقة بي فأنا لا أفشي الأسرار و بالأخص إن كانت على لسانك لأننا صرنا صديقتين على ما أعتقد

-يسعدني ذلك لكن ثقي بي بأني لا أعلم عنه شيئاً كون علاقتي به كعلاقتي ببقية أصحاب الشركات التي لها تعاملات مع شركتنا

-هل سافرتما معاً فيما مضى ؟

-نعم عدة مرات كنت يومها في عداد الوفد الممثل لشركتي

-زرتم دولاً أجنبية؟

-نعم أوروبية و آسيوية و كذلك أمريكية شمالية و جنوبية

-إذاً أنت كثيرة الأسفار

-نعم و يساعدني و ضعي كوني غير مقيدة بعائلة

-ألم تتزوجي؟

-تزوجت لفترة قصيرة و طلقت

-ألم تتفقا؟

-بالعكس كنا في غاية التفاهم و الانسجام لكن أنت تعرفين غيرة الرجال

-لأجل هذا فضلت العيش هكذا وحيدة

-نعم و ربما أؤسس شركة خاصة بي ومن ريعها أستطيع الاستقرار

-وجهة نظر

-و أنت هل أسست أسرة؟

-نعم لكني لم أرزق بأطفال

-إن شاء الله تحظين بذلك لأنهم الثروة الحقيقية

-إن شاء الله

-هل زوجك يعمل في مجال التجارة أم موظف حكومي؟

-إنه موظف حكومي و من الطراز القديم المتمسك بالقوانين بشدة

-ألهذا الحد هو دقيق بعمله؟

-قولي أكثر و لولا سعة صدري لكنا قد انفصلنا منذ زمن بعيد كونه يريد تطبيق ذلك على كل متعلقات حياتنا الأسرية

-نعم هذا ما يحدث للكثير من أمثالك

-نعم لكني تعودت و نظمت حياتي

-جميل أن يرتب المرء حياته تماشياً مع الواقع

-أجل

رشفت هدباء من الفنجان و وضعته على الطاولة و تابعت قائلة

-هل لي بمشاهدة منزلك من الداخل لأني أعجبت كثيراً بنظام بنائه

-بكل سرور تفضلي و سارتا معاً باتجاه المطبخ وكان أنيقاً بكل معنى الكلمة و من بعده غرفة عند المدخل تستقبل فيها ضيوفها الرسميين و لإنهاء بعض متعلقات العمل و من بعدها

انتقلتا إلى غرفة تتصدر ممر زينت جدرانه بأبدع اللوحات الفنية و المجسمات التي ركنت فوق أعمدة رخامية بشكل أنيق

-هذه غرفة نومي

-هل أستطيع دخولها ؟

-نعم بكل تأكيد تفضلي قالتها و هي تفتح الباب

كانت كبقية الغرف غاية في الروعة نقلت هدباء نظرها على كل المحتويات آملة أن تلتقط عدستها الإلهية شيئاً ما يرضي فضولها و كان لها ذلك كونها رأت فوق الكومودينة حمالة مفاتيح علقت بقطعة فيروز طعمت بزخارف من الفضة بشكل بديع رفعت تلك القطعة و من ثم تركتها و تجاوزتها دون أن تثير انتباه سهير و بعد ذلك غادرت هدباء المنزل بعد أن هنأتها على ذوقها وحسن اختيارها لأشيائها و كذلك أسلوب حياتها و هي في طريق العودة حدثت هدباء نفسها قائلة:

-هذه حمالة المفاتيح تعود لأبي سامح كيف وصلت إليها متى و بأية ظروف هذا ما سأعرفه

بعد أن غادرتها هدباء جلست سهير مسترخية و مسترجعة ما حدث كونها شعرت بشيء من القلق نتيجة لهذه الزيارة التي اعتبرتها في قرارة نفسها غير مقنعة مدت يدها و سحبت جهاز الخليوي و طلبت من الشخص المقابل الاستفسار عن هذه السيدة و عن طريقة حياتها جاءها الرد : بأنها إنسانة حشرية جداً لم تسألين ؟

-لأنها أتت لزيارتي

-خذي حذرك منها فهي على الأغلب تشك بك

-من أية ناحية؟

-بأن تكوني على علاقة مع أبي سامح

-أتظن ذلك؟

-هذا ما أتت لأجله بكل تأكيد

-شكراً لك . و أغلقت السماعة

سرحت بأفكارها مسترجعة شريط ذكرياتها و أول ما حضر لقاءها الأول بأبي سامح و كان في إحدى قاعات المسافرين التابعة لمطار كبير في عاصمة أوروبية وقتها كان أبو سامح في غاية القلق و هو يشير إلى أحد رجال الأمن الذي ركض نحوه بدوره مستفسراً عندها ومن باب الفضول تقدمت لتستكشف شيئاً عما حصل و علمت من خلال الحوار الذي دار بينه و بين رجل الأمن بأنه تعرض لعملية تبديل حقائبه و أن كل ما كان قد أحضره معه قد فقد بما فيه نقوده شدتها ملامحه الشرقية الواضحة كونه أسمر البشرة حاد النظرات اقتربت منه أكثر سألته بلغة ذاك البلد هل تعرضت للسرقة و لانفعاله رد بالعربية (نعم)

-هل أنت عربي ؟

-نعم

عندها عرفت أنه من بلدها قدمت نفسها له و عرضت عليه خدماتها شكرها جداً كونه شعر بشيء من الراحة لوجودها بجانبه في هكذا لحظة لأجل ذلك لم يتردد في قبول عرضها بأن يرافقها أثناء إتمام الإجراءات و من بعدها غادرا إلى مكان إقامتها و كان نزلاً شعبياً مما يرتاده العابرون في العادة و كان كثير الشبه بمنزل كبير قسم إلى غرف مستقلة و بداخلها كل مرافقها دخلا غرفتها طلبت منه أن يأخذ قسطاً من الراحة بينما غادرت هي لتغيب قليلاً و تعود حاملة وجبة طعام كون ذاك النزل لا يقدم الطعام للنزلاء و بعد أن تناولا طعامهما أخذا قسطاً من الراحة تبادلا خلالها الأحاديث التي شملت كل تفاصيل حياتهما و من خلال ذلك عرف منها طبيعة عملها و منذ ذاك الحين بدأت القصة

قامت بحجز غرفة خاصة له و للمصادفة كانت ملاصقة لغرفتها بقيا هناك حتى أنهى كل ما كان قد حضر لأجله و عادا إلى أرض الوطن معاً على نفس الطائرة و كانت تلك الرحلة هي باكورة أعماله الخارجية كون كل نشاطاته السابقة كانت محصورة في الداخل إلا أنه لم ينس وقفتها معه لأجل ذلك سعى لتواظب علاقته بها و من بعدها صارت من أقرب المقربين له و بالتالي من أهم المستشارين كون خبرتها لا تضاهى و صارت رفيقة سفره الدائمة و عندها حدث ما كان منتظراً و بالأخص بعد أن صارت أوضاعه المالية على أحسن ما يرام و صارا ينزلان في أفخر الفنادق

ذات يوم و بعد أن قاما بزيارة لمقر شركة كانت قد سعت جهدها لإقناعه بالتعامل معها كون منتجاتها غريبة عن نشاطه و لم يسبق له التعامل بها فهي تنتج ما يسمى بالأجهزة النقالة الحديثة كالحواسب و أجهزة الاتصال و ما شابه و كان لما لها من دلال على تلك الشركة الأثر

الفعال في إنهاء تلك الصفقة و كل الصفقات التالية و التي درت عليه أرباحاً طائلة رفعت أكثر من مستواه المالي و ليصبح من كبار التجار في هذا البلد

بموجب ذلك صارت محظيته الأولى و صار لها قسم من حوافزه و أرباحه كل ذلك و هي لم تزل ترتبط بعملها الأساسي لدى شركة الاستثمار الدولية مبررة ذلك بأن عملها لا يتعارض مع نشاطاته و بنفس الوقت تستطيع تسهيل كل عقود صفقاته مع شركتها و الكثير من الشركات الأخرى و في مقدمتها شركة شافع بك و التي كانت و لفترة قريبة من أهم الشركات العاملة في هذا البلد و صارت الشركتان ركيزة الاقتصاد إلى أن حصل ما حصل عندما قام شافع بك بالإبلاغ عن تلك المخالفات الأمر الذي أدخل الريبة و الشك في قلب أبي سامح و صار أكثر حذراً في التعامل مع تلك الشركة التي تخصصت تقريباً بالأجهزة الالكترونية و بالأخص الحواسب و أجهزة الاتصال و رغم إصرار شافع بك على استمرار تلك العلاقة مستخدماً سهير لما لها من دلال على أبو سامح استمرت هذه الشراكة تلك لفترة و رغم كل تلك الأرباح التي جناها و التي أهلته لدخول **نادي** أصحاب القرار في الشؤون الاقتصادية الهامة إلا أنه بقي على شكوكه من نشاط شركة شافع بك رغم جهله السبب كونه لا أدلة لديه رغم كل تحرياته و استقصاءاته

في مكتب المعاون عاد سالم و هو يحمل ملفاً صغيراً وضعه أمام رئيسه و قال

-هذا ما حصلنا عليه حتى هذه اللحظة عند السيدة سهير. فتح المعاون الملف و تفقده جيداً ثم أغلقه و هو يهز رأسه بشيء من القلق الكامن الذي ينتاب رجل التحقيق في مثل هكذا ظروف ثم التفت نحو سالم الواقف أمامه و ابتسم قائلا

-اجلس سالم لقد شدني ما جلبته لذا سهوت عنك

-المهم أن يكون لمساعينا خير و فائدة

-أعتقد ذلك كون أحد مفاتيح هذه القضية بيد تلك السيدة

-ربما هل من خدمة أخرى؟

-لا ، يمكنك الانصراف

-ألهذا الحد نشاطك واسع أيتها السكرتيرة الفذة قالها ثم حمل الملف و قصد مكتب رئيسه ليضعه في الصورة عندها أمر المحقق بوضع سهير تحت المراقبة الصارمة فبذلك صارت كل تحركاتها تحت المجهر لأن كلاً من المحقق و معاونه اعتبراها من أهم الخيوط الواجب إتباعها لحل تلك القضية

و هما يتحاوران اتصل أحد العناصر المكلفة بمراقبة الفيلا ليبلغ بأن السيدة سهير قد حضرت و سألت عن السيد أبي سامح و قد أبلغها الحارس بأنه مسافر لعدة أيام و من بعدها عادت إلى منزلها

و هنا ضاقت الدائرة حولها لتكون منذ هذه اللحظة أهم أبطال هذه القضية

بعد أن غادر كل من أبي وضاح و زوجته منزل أبي سامح و بعد أن أكد المحقق عدم السماح بدفن الجثة و كذلك عدم الإعلان عن الوفاة و محذراً الجميع بالالتزام بذلك مبرراً الأمر – ضرورات التحقيق تقتضي ذلك – واعداً بأن ينهي الأمر بأقصى سرعة ممكنة كون ما استجد قد يفيد بذلك

و في منزل صفاء التي بقيت وحيدة بعد أن غادرها الجميع حتى عادت هدباء و أبلغتها بكل ما كانت قد اكتشفته في بيت سهير الأمر الذي أدخل الشك إلى قلبها في الوقت الذي تعمدت فيه الظهور متماسكة قوية في محاولة منها لصرف نظر شقيقتها عن الأمر كي لا تثيران أية مشاكل و خصوصاً في هذا الوقت بالذات كونها قد قامت بإبلاغ بناتها خلافاً لتعليمات المحقق الذي أنب الخادمة لإبلاغها أولاد ابو سامح

إلا أن هدباء لم ترضخ بل بقيت تثير موضوع حمالة المفاتيح مع صفاء التي أكدت لها كذباً أنها ليست للمغدور و أنها شاهدتها معه قبل فترة لكن عبثاً – أين كل هذا من حشرية هدباء التي لم تستطع الصمود لدرجة أنها قررت المغادرة بحجة أن زوجها قد يصل المنزل في أي وقت و أنها يجب أن تكون هناك قبل ذلك

ودعتها صفاء مشددة على عدم البوح بالأمر وعدتها و لكن دون قناعة

في غرفة مراقبة الهاتف التقط المراقبون اتصالات عدة صادرة من منزل أم ساهر و إلى جهات عدة داخلية و خارجية و كانت في معظمها تهدف لمعرفة صاحب رقم محدد و هل هو لشخص أو لشركة – و الجهات التي اتصلت بها كانت لخمس شركات أربعة داخلية و واحدة خارجية مقرها الرئيسي إحدى العواصم الأوروبية

و كان هناك اتصال سادس قد أتى لسهير و مصدره دولة خارجية

أبلغ مسؤول المراقبة المحقق بالمستجدات و الذي تلقفها بشوق بالغ و هنا ظهر اسم آخر و كان جديد كل الجدة و صاحبته تدعى ثناء و كانت قد وصلت من قبرص قبل قليل

وجه معاونه ليستعلم من سفارة ذاك البلد عن نشاط تلك الشركة و كذلك ضرورة جلب كل ما يتعلق بالمدعوة ثناء ... و بعدها شرد محدثاً نفسه

لم تبحث هذه السيدة عن أساس هذا الرقم و من أين حصلت عليه – رغم أننا بحثنا في كل متعلقاتها و لم نحظ به

رن الجرس آمراً باستدعاء المعاون الذي حضر على وجه السرعة

-خيراً سيدي هل من جديد؟

-نعم ... خذ و اقرأ

-ما هذا؟

-هذه أرقام هواتف قامت السيدة صفاء بالاتصال بها

-هذا عرفته قبل قليل

-لكنك لم تنتبه إلى هذا الرقم

-نعم صحيح و من أين حصلت عليه و بالأحرى من أين حصلت على هذه المجموعة من الأرقام كيف لم ننتبه بعد؟

-لا أدري – لكني بدأت أشك في شيء و أرجو أن أكون مصيباً

-فيما تشك سيدي؟

-في الحلقة المعدنية و قطعة الجلد الأسود المعلق بها

ضرب المعاون على جبهته بيده و قال

-ربما تكون مصيباً سيدي – يجب أن نتأكد

-كيف؟

-سنفكر

-لدي فكرة

-ما هي سيدي

-ما رأيكم باستدعاء السيدة أم ساهر و في غيابها نقوم بتفتيش المنزل

-أصبت اتصل بها و استدعها فوراً

و ما أن غادرت منزلها حتى كانت مجموعة التفتيش تقلب كل محتويات البيت إلى أن وجدوا الكيس بكل محتوياته و تأكدوا من أن هناك حلقة و قطعة جلد كانت قد مزقت من أحد أطرافها

أبلغوا المحقق بالأمر و عادوا بعد أن أعادوا كل شيء كما كان

-حسناً قالها المحقق و هو يرمق أم ساهر بنظرة ملؤها المكر

-و الآن سيدة أم ساهر أريد منك خدمة و الأمر يخص القضية

-أنا تحت أمرك

-يجب أن تساعدينا في معرفة كل متعلقات ابو سامح و بالأخص علاقاته الإنسانية

-تقصد نسائية

-لا ، إنسانية هل كان له خدمات إنسانية علاقات مع جمعيات خيرية.. هل كان يساعد أسر مستورة و غيرها؟

-بالتأكيد كانت له علاقات بما ذكرت كونه كان يتصدق على العديد الهيئات و الجهات الخيرية

-هل لديك قائمة بها؟

-نعم و لكن في مقر الشركة.. هل أستطيع دخولها و جلبها لكم

-نعم و لكن بالكثير من الحيطة و الحذر

و ما أن غادرت حتى وجه من يراقبها ليرصد كل حركاتها جيداً

استغلت أم ساهر الأمر لتدخل الشركة و تتأكد و تستدل على اسم صاحب الرقم و عند ذلك و أثناء بحثها اكتشفت أن لزوجها علاقات مع شركات أجنبية و الوسيط في ذلك شافع بك عندها قررت الاتصال بشافع بك شخصياً و عبر هاتف عام توقفت أمامه أثناء عودتها مستعلمة منه عن ذلك كونها على علاقة خاصة به و بالسر عن زوجها كونه كان يسهل لها كل شيء و بالأخص تعاملاتها التجارية الخاصة بها الشيء الذي أكسبها مبالغ طائلة و بالطبع المقابل كان ثميناً

-مساء الخير شافع بك

-أهلاً و سهلاً كم مضى على آخر اتصال ؟ هل نسيتنا يا أم ساهر؟

-أنتم في ذهننا دائماً و لكن أريد مقابلتكم لأمر هام

-على الرحب و السعة في أي وقت و مكان تريدين

-في مكاننا المعتاد الخامسة مساءً

-لك ما تريدين.. إلى اللقاء

و بعد أن عادت إلى منزلها اتصلت بالمحقق لتبلغه بأسماء الجهات الخيرية التي كان زوجها يدعمها مادياً و بنفس الوقت طلبت منه الإذن بالمغادرة مساءً لإجراء مقابلة ضرورية تبغي منها مساعدة صديقة عزيزة عليها و تمر بأزمة

-لك ما تشائين سيدتي شرط الالتزام بالتعليمات فأنت تعلمين كم هو الوضع حرج

-أعدك بذلك

مساءً كانت سيارة المراقبة تتبع سيارة السيدة أم ساهر إلى أن توقفت أمام مبنى مؤلف من طابق واحد و كان الطابق الأرضي بالكامل قد استخدم كمستودعات عرفوا ذلك من تلك الأبواب الكبيرة التي تسد كل الواجهة و كان الطابق العلوي عبارة عن شقة صغيرة تستخدم كمكتب و نتيجة تحرياتهم في الجوار علموا بأن هذا المكان بأكمله يعود لشركة السيد شافع يشغلها بضع موظفين ينتهي دوامهم ظهراً

و كان هناك حارس للمكان يلتزم غرفته في مدخل البناء

أمضت هناك فترة تجاوزت الساعتين و من بعدها غادرت بحال آخر مخالف الوضع الذي أتت به كون علائم الإرهاق كانت بادية عليها تماماً

غادرت السيدة و من خلفها غادر السائق بمفرده بينما الشخص المرافق بقي يراقب المكان من بعيد ليشاهد شخصاً يخرج شامخ الرأس و يستقل سيارة فاخرة أتت لنقله و من سؤال الجوار عن هذا الشخص علم أنه شافع بك

عادت سيارة المراقبة بعد قليل لنقل ذاك الشخص إلى مكان مراقبتهما

بعد أن عادت أم ساهر إلى شقتها جلست باسترخاء على أريكتها المفضلة و سرحت ممتطية جواد ذاكرتها الذي أدار رقبته و اتجه ناحية بدت لها المعالم جيداً كونها لم تزل حتى الساعة تعيش نتائجها و تك كانت بداياتها مع زوجها أبي سامح

كانت صبية في مقتبل العمر جميلة من ذوات ذاك السمار الرائع الذي تمتزج فيه أدمة الأرض و بنية حبة القمح و أطراف أشعة الشمس التي جهدت على إنضاج وجنات بعبق العنفوان كرغيف أخرجته يدا خباز ماهر من قلب فرن و حبال اللهب الكامن تتصاعد عابرة الفضاء مستقطبة و مثيرة لشهية كل غافل

نزلت المدينة بعد أن حازت على شهادة الثانوية لتلتحق بكلية الآداب

و كبقية أبناء الريف أول ما قامت به بعد أن استقرت تماماً , هو البحث عن مصدر رزق يكفيها لتريح أسرتها من حمل مصاريفها

و من خلال أصدقائها الذين تعرفت عليهم الذين دلوها على طريقة تقتنص فيها فرصة عمل مناسبة من كل النواحي و صارت تفتش عن تلك الفرصة بين العشرات من الإعلانات المعلقة على أبواب المحلات و الشركات التجارية و غيرها و لما كانت عليه من حنكة دوخت شبان القرية بمن فيهم من داعب شفاف قلبها إبان فترة مراهقتها حبيبها الأول الذي امتاز بدوره عن كل أقرانه بجرأته الجنونية التي سببت له فيما مضى الكثير من المشاكل التي كادت أن تودي به إلى السجن أو إلى مكان أكثر قسوة

ذات يوم تسلق عمود النور كهر ماهر و منه استطاع أن يمتطي حائطاً ترابياً أوصله بدوره إلى المطبخ الذي كان يقع تحت نافذتي و لحسن الحظ أنني كنت وحيدة كون أختي التي تشاركني الغرفة قد غادرت المنزل مع بقية أهلي لزيارة جدتي في الحي التالي

نقر على زجاج النافذة تلك الرنة التي لم تزل حتى هذه الساعة يتردد صداها في أذني فتحت النافذة و قلت له موبخة

-كيف تجرؤ على فعل ذلك أيها المجنون

-لم أعد أحتمل – جئتك و ليحدث ما يحدث فحياتي لم يعد لها ثمن

-اذهب أرجوك , إن شعر أحد من أهلي بوجودك فستكون عاقبتك وخيمة

-لن يشعر أحد بذلك كونهم خارج المنزل فأنا رأيتهم قالها و هو يدفع درفة النافذة و يقفز داخلاً

و بدون أية مقدمات احتضنني و ضغط على خصري كطفل أخافه مشهد مرعب ليغمر وجهه بين عنقي و كتفي و شم عبيراً مكوناً من خليط عطري المميز الذي تسللت إليه ما تتركه تلك المنازل المريحة

رفع رأسه بعد برهة وسط ذهولي و لثم ثغري و بأقصى سرعة غادر كما أتى

-يا له من متهور , يا ترى ما الذي فعلته به الأيام كيف هي أوضاعه في بلاد الغربة هناك في بلاد النفط و الثروة

دلها أحد أصدقائها في الكلية على شركة تطلب سكرتيرات بمواصفات معينة, و على الأغلب تنطبق عليك قالها

في اليوم التالي جهزت نفسها و قصدت تلك الشركة و كما يقال عندما تركب الأمور يتيسر كل شيء

و ما أن اجتازت المرحلة الأولى من الامتحانات حتى رشحت و بقوة لتحظى بمقابلة صاحب الشركة الذي أبدى إعجابه بشخصيتها و بالتالي الموافقة على تعيينها و كان ذاك الشخص شافع بك

ترقت من مستخدمة استقبال إلى أن صارت السكرتيرة الشخصية لشافع بك و لما لهذا الموقع من لأهمية من حيث المعلومات و كذلك الملازمة الدائمة لصاحب الشركة ضمن أوقات الدوام الرسمي و في بعض الأحيان خارجه خصوصاً إن قدم وفد أجنبي و لم لهذه الاجتماعات و اللقاءات من توابع و متعلقات تبدأ ضمن نطاق العمل ثم ما تلبث أن تتحول إلى غير منحى و غير مضمون إلى أن أتت اللحظة التي غيرت مجرى حياتها بالكامل يوم دخل ذلك الرجل

الأربعيني مقر الشركة و طلب مقابلة شافع بك معرفاً نفسه بأنه أبو سامح مدير شركة عبر المحيط

و للجدية التي تحدث بها أثناء ذلك الأثر الفعال في شد انتباهها و بالأخص عندما عاملها كأية سكرتيرة من اللاتي يصادفهن أثناء زياراته لمثل هكذا شركة و كذلك الجدية التي عامل بها شافع بك أثناء مقابلتهما الأولى و التي تركت أثراً في مزاجية شافع بك ذاك الطاووس الذي لم يكن ليقيم أي اعتبار لأية شخصية يقابلها مهما كانت مكانتها

أنهى ما كان قد جاء لأجله و غادر كطير جارح دخل حديقة منزل حام فيها مثيراً الفزع في كل ما فيها و يغادر تاركاً الكل بحالة ترقب هكذا كانت حالتها بالضبط عندما غادر

-من يكون هذا الرجل سيدي؟

-إنه أبو سامح صاحب و مدير شركة عبر المحيط

-لم عاملنا بهذه الطريقة؟

-لكل إنسان طبيعته و طريقته في التعامل مع الغير

-لم يقم وزناً لأحد, و لا حتى لكم

-لا بأس, فنحن بحاجة إليه و لشركته في هذه الفترة

-كيف؟

-لدينا عقود خارجية و نحن بحاجة لشخص مثله و بمواصفاته لنعقد تلك العقود كونه من الأشخاص المحترمين و ذوي السمعة الطيبة في الوسط التجاري و أنت تعرفين كم لهذه المواصفات من أهمية في جل ما ذكرت لذا أرجو احترامه جيداً و التعامل معه كما يريد و تنفيذ كل طلباته أياً كانت

-لك ما تريد شافع بك

-جيد إذاً أبلغي الجميع بذلك

-حاضر

ومنذ ذلك الوقت أصبحت تهتم بكل مطالب السيد أبو سامح لدرجة صارت فيها تلازمه كظله عندما يحضر للشركة و لما لغنجها و دلعها و طريقة كلامها من تأثير على أي شخص فما بالك على نفسية رجل له الباع الطويل في هذا المجال

غير طريقة كلامه و تعامله معها دون بقية الموظفين وعلى رأسهم شافع بك شخصياً ما لبث أن صارا صديقين حميمين فأصبحا يلتقيان خارج أوقات العمل و في أماكن عدة و بأوقات مختلفة إلى أن صارت ترافقه إبان إجازاتها في سفراته خارج المدينة و كذلك الخارجية منها

انتهى كل ذلك بزواجهما الذي باركه شافع بك الذي أسس معها و بالسر عن زوجها شركة خاصة لها نشاطاتها التي قد تتعارض مع نشاطات زوجها

و بعد ذلك أنجبت ولدها ساهر و هنا توقف شريط ذكرياتها فجأة

تذكرت ساهر ولدها الوحيد القابع في إحدى المدارس الداخلية

-ساهر –ولدي– كيف سيكون وقع ما حدث عليك؟ كيف ستتقبل الأمر و أنت في هذا السن؟

عندها قامت و بعد أن تجهزت غادرت منزلها قاصدة تلك المدرسة لتطمئن على ولدها و تعود سريعاً

و ما أن دخلت غرفة المكتب حتى حملت مفكرة الهاتف لتطلب ابن عمها صفوان في بيروت

في غرفة جانبية اختلى سامح بشقيقه شادي محاولاً أن يؤسس و إياه للمرحلة القادمة كونهما الرجلين الوحيدين في هذه العائلة و على عاتقهما يقع الحمل

حاول أن يستشف أولاً منه كل ما يدور في ذهنه

و خصوصاً في هذه المرحلة العمرية كونه لم يزل في مرحلة المراهقة التي يكون فيها الشاب بأوج أحلامه و عنفوانه

و عندما لم يجده مكترثاً بتلك التفاصيل تركه و شأنه و لسان حاله يقول

-هكذا أفضل اهتم أنت بدراستك و دع كل شيء علي

غادر الغرفة متجهاً نحو غرفة والدته التي كانت تداعب شعر صغيرتها المستلقية جانبها على الأريكة و ملقية رأسها في حجر والدتها

كيف لا تفعل ذلك و هي المدللة من قبل الجميع

-مساء الخير

-مساء النور يا ولدي هل نام أخوك ؟

-ليس بعد

-كان الله في عونه فوقع ما حدث قاس عليه

-نعم إنه قاس

-لم لا تخلدان للنوم؟

-معك حق .. هيا بنا يا ابنتي لننام معاً في سرير واحد

ليلاً غادر المحقق ومعاونه كلٌّ مكتبه إلى منزلهما بعد أن نظم المعاون كل الأمور من نقاط المراقبة حتى الأشخاص و مشدداً على مراقبة سهير كونها الحلقة الرئيسية في هذه القضية لأن كل التشعبات حتى الآن تقود إليها

و من غرفة مراقبة الهاتف التقط المناوب عدة مكالمات قامت بها سهير و كانت كلها داخلية عدا واحدة كانت خارجية و فحوى كل المكالمات أبو سامح و علاقاته مع كل من اتصلت بهم و الأمر المثير للانتباه لم أتت السيدة هدباء لزيارتها قالتها و هي تغلق السماعة عند آخر مكالمة

أما عناصر مراقبة الفيلا فقد رصدوا وقوف سيارة سوداء تقف و تنزل منها صبية ممشوقة القوام و تسأل الحارس بضع أسئلة و تغادر و هي مرتبكة , و من الحارس علموا أنها عادت هكذا عندما أعلمت بعدم السماح لأي شخص بدخول الفيلا

تبعتها سيارة المراقبة حتى وصلت إلى منزلها و هناك تعرفوا إلى شخصيتها و كانت تدعى وفاء و تعمل مديرة علاقات عامة في إحدى شركات شافع بك

تم إبلاغ الشخص المناوب بكل هذه التفاصيل , و من منزلها أجرت عدة اتصالات تم التقاطها من قبل عمال المراقبة كونها كانت لأشخاص مراقبين و على رأسهم شافع بك و لكن هذه المرة إلى أحد معاونيه

صباحاً تلقى كل من المحقق و معاونه كل التقارير و التي وجهت كل الأنظار و بالتالي الجهود إلى تلك السيدة الغامضة حتى الآن وفاء

ولذا تم وضعها تحت المجهر لتبدو كل اتصالاتها و حركاتها وكذلك سيرة حياتها بوضوح تام لا لبس فيه

و أكثر ما أثار المحقق هو حضورها إلى الفيلا و بهذا الوقت

أحاط اسمها بقلم أحمر عدة إحاطات كعلامة تركيز ثم رفع القلم و أخذ يدق برأسه وسط تلك الدائرة الأمر الذي لفت انتباه المعاون الذي قال

-معكم حق سيدي هي الحلقة الرئيسية الجديدة

-لأجل هذا دع كل الأمور تسير بشكل طبيعي بينما أنت ركز كل جهدك على هذه السيدة و بالأخص سجلها من دائرة النفوس لنتعرف على وضعها الاجتماعي أحضر هذه الوثيقة بنفسك دون أن تثير الانتباه

و بالفعل ذهب و عاد بعد فترة قصيرة و علامات الدهشة بادية عليه

وضع الوثيقة أمام المحقق الذي تلقفها بكلتا يديه و بدأ يلتهم كل ما ورد فيها عندها أفترت شفتاه عن ابتسامة صفراء و قال بعد أن وضع الوثيقة على الطاولة

-هكذا إذاً أتت الزوجة الرابعة أيتها السيدة الغامضة و التي نزلت علينا من غامض العلم.. ما هي ردة فعل زوجاته و أبنائه عند سماع مثل هذا النبأ؟ و بالأخص أم ساهر التي تعد نفسها المفضلة و المميزة

-لم أخفى عن الجميع هذا الأمر ؟ و في أية ظروف حدث ذلك ؟

نحن أمام قضية متشعبة جداً و كلما تمعنا أكثر زادت تشعباً و تعقيداً .. يا لهؤلاء الأغنياء – كم هي حياتهم مليئة بالمشاكل و الخفايا – كم نحسدهم لمرآهم هكذا يتمتعون بكل شيء على عكسنا نحن من نعيش على خط الفقر

و نتيجة لما يمر علينا من خلال عملنا أحمد الله على مستواي هذا و على الاستقرار الذي أعيشه وسط عائلتي

لم تعدد الزوجات أيها الأغنياء ؟ ألأنكم تمتلكون ما لم يمتلكه غيركم أم حالة الملك التي تعيشونها نتيجة لحياة الرتابة التي تفرضها عليكم علاقاتكم الاجتماعية في أوساطكم المخملية كما يقال فتظنون أن أبسط الحلول يكمن في ذلك و مبررين ذلك أنه تنفيذ لتعاليم أنزلت لحل عقد صعب التعايش معها فيما أنتم تزيدون من مشاكلكم و منغصات حياتكم بذلك

" فعلاً الفقر نعمة ....! " قالها و هو يغادر مكتبه متوجهاً نحو النافذة التي تطل على حديقة الإدارة

من مكانه في الطابق الرابع شاهد معظم المنطقة المحيطة بأبنيتها المتشابهة و المتداخلة كونها شيدت حديثاً

رفع نظره عالياً نحو السماء الصافية إلا من بعض أسراب الحمام المتداخلة و التي ما تلبث أن ينفك عقدها لتقسم إلى مجموعات عدة ثم تعود ثانية للالتحام كجيوش تلتحم و تتباعد ثم تعود لتلتحم و النتيجة بعض الأسرى من أفراد تلك المجموعات

-يا لهذه المدينة كم تحوي في جوفها من مشاكل و لحظات حميمة ! هز رأسه و عاود إلى مقعده خلف الطاولة و سرح بما بين يديه

.....

تلقت وفاء صباحاً اتصالاً هاتفياً من مقر الشركة الرئيسية في قبرص يطلب منها القدوم لأمر هام و على وجه السرعة و في اليوم التالي شوهدت تجتاز صالة الركاب في المطار لتدخل ذاك الممر الضيق و الإلزامي لجميع المغادرين

هناك في قبرص حملت بكل التعليمات المتوجب عليها الالتزام بها و بأسماء الأشخاص الذين ستتعاون معهم بعد عودتها في المرحلة القادمة

و كانت دهشتها الكبيرة عندما عرفت ذلك الشخص العادي و المغمور ممن تعاونت معهم سابقاً كونها كانت تعشم نفسها بأن تتولى تلك المهمة بنفسها لتحظى بكل المميزات و بالتالي الفوائد

-هذا من سيحل مكان أبي سامح الرجل الكبير و المحترم يا له من زمن للعجائب!

قالتها محدثة نفسها و هي تغادر مقر الشركة إلى مكان إقامتها المعتاد

في جناحها و بعد أن استسلمت قليلاً للراحة فتحت مظروفاً كان قد أرفق بمجموعة أشياء وضعت ضمن حقيبة يد صغيرة و كان يحوي مبلغاً من المال بالإضافة لورقة حدد فيها كيفية توزيع ذاك المبلغ و كان اسمها من بين الأسماء تلك كونها أصبحت حلقة الوصل بين الشركة و تلك الجهات و أولئك الأشخاص

و بعد أن استحمت جلست في صالة جناحها على أريكة و مدت ساقيها لتسند قدميها على طربيزة صغيرة محاولة جلب استرخاءة عز حضورها كون أعصابها باتت كسلك معدني شدته قوتان كل منهما تحاول جذبه ناحيتها ليزيد من توتره و بالتالي ضيق قطره و فقربه من لحظة الانقطاع

و هي بوضعيتها هذه ملأت كأساً من زجاجة كانت بجانبها على عربة ذات عجلات كان قد أحضرها النادل قبل دخولها الحمام

رشفت بعض رشفات من ذاك الشراب اللذيذ

ثم ما لبثت أن سألت نفسها السؤال الذي تأخر عن موعده كثيراً ألا و هو كيف عرف السائق بموت أبي سامح دون أن يكون قد أعلن ذلك حتى لحظة مغادرتها البلد و كذلك لم لا يسمح بإعلان ذاك النبأ و بالتالي الموافقة على إجراء مراسم الدفن رغم مرور أكثر من يومين على وقوع تلك الكارثة

ثم ما لبثت أن ركبت خيالها سابحة في فضاء ذاكرتها التي قادتها للحظة لقائها بالسيد أبو سامح

و كان ذلك على متن طائرة قادمة من عاصمة أوروبية و كانت جلستها في المقعد الملاصق لمقعده

و بعد فترة أمضياها جواً بادرها بأسئلة روتينية تسأل في مثل هكذا ظرف

و من تلك اللحظة بدأت تلك العلاقة و بالأخص عندما تعرفت على طبيعة عمله و نشاطاته الواسعة و بالتالي ليصبح هو و شريكته الممثل الوحيد لتلك الشركة في المنطقة بأكملها , و الفضل يعود بكل ذلك لوفاء

تذكرت جيداً يوم قدمته للمدير التنفيذي و الذي كان من الجنسية الأمريكية و مكررة مزاياه و كذلك معددة نشاطات شركته و كان ذاك الشخص المعروف بحدة ذكائه و مكره ينظر إليها و إليه من فوق نظاراته التي كانت تعتلي رأس أنفه و كان لذلك أثر إيجابي على نفس أبي سامح الحذر و الذي لم يعمد إلى إخفاء ذلك

و نتيجة لإجراءات عدة قامت بها الشركة عبر عملائها سعى ذاك المدير لتوطيد علاقاته بالسيد أبي سامح مستغلاً تأثير العاطفة على الرجال الشرقيين

حصرت كل تعاملات تلك الشركة بشركة أبي سامح في كل أنحاء المنطقة لتصير شركة أبي سامح من أكبر و أغنى الشركات في المنطقة بأكملها , و خصوصاً في مجال الالكترونيات التي غزت العالم و صارت العصب المحرك لكل نواحي الحياة حتى الشخصية و حتى الساعات اليدوية الفاخرة و التي كان ذاك المدير الماكر يعمد لمنحه بعضاً منها كهدايا يقدمها لأصحابه و أصدقائه و لما للتجار من ميل نحو المكسب المادي كانت تلك الساعات تذهب لأيدي الرجال المهمين و الذين يتبوءون مناصب كبيرة و حساسة في كل الميادين هنا في البلد و في البلدان المجاورة

و ضعت كأسها على الطاولة بعد أن تلذذت برشفات من ذاك الشراب الممتع

في تلك اللحظات كان المعاون ينقل لرئيسه كل المستجدات بما فيها حركة السيدة وفاء و الطريقة التي غادرت بها البلد , و خصوصاً بعد أن تلقت ذاك الاتصال و الذي عرف مكانه مقر تلك الشركة العالمية في قبرص – هنا و بالقلم الذي كان بيده كتب على ورقة أمامه وفاء بخط كبير و واضح و بدأ ينقر برأس القلم على ذاك الاسم و بعد لحظة توجه نحو معاونه قائلاً :

-دع كل الأمور تسير على سجيتها وخصص تحرية بارعة للعمل في محور وفاء وحدها لأنها هي المفتاح الرئيسي لهذه القضية

ذات يوم كانا معاً في ربوع إحدى الدول الأوروبية و بعد أن أنهيا كل أعمالهما حيث اتفقا على أن يمضيا سهرة خاصة في جناحه في الفندق الذي يقيمان فيه

و بعد أن تناولا طعاماً لذيذاً تحولا لتبادل قرع كؤوس الشراب إلى أن فعل الشراب فعلته في رأسيهما قاما و رقصا و لشدة نشوتها بدأت تفقد توازنها مما اضطره لمساعدتها في الوصول إلى جناحها القريب جداً من جناحه

أحست و هي بين يديه أنها اعتلت سجادة علاء الدين و طافت بها فوق المعمورة مستنشقة هواء الفضاء العليل و مخترقة سحباً بيضاء تمس خدها بأنفاس دافئة لتسري تلك القشعريرة في جسدها و التي يحس بها من سار وقتاً طويلاً في جو عاصف و ماطر و لحسن حظه وجد أمامه محلاً ترسل واجهته الزجاجية أشعة كمنارة شمخت وحيدة هناك و ما أن يقف تحت مظلته حتى يحس بذاك الهواء الساخن الذي ينفثه جهاز التكييف المثبت عند أعلى الواجهة

الأمر الذي زاد من ارتخاء عضلاتها لدرجة صارت معها كقطعة عجين أرهقه حملها بين ذراعيه رغم قصر المسافة بين جناحيهما لدرجة أنه لم يصدق نفسه عندما ألقى بها على سريرها كجثة هامدة و لولا حركات صدرها لأكد بأنها انتقلت إلى العالم الآخر نفض يديه محاولاً تسهيل جريان الدم فيهما و عب نفساً عميقاً و هو ينظر إليها كمن يراقب شخصاً يرجو أن يعود إلى الحياة و بينما هو بحالته هذه أمسكت يده و جذبته كمن يحاول النهوض بمساعدة أحدهم و لما كانت عليه حالته ارتمى فوقها لتطبق عليه بكلتا يديها و لتغمر وجهها بين ذقنه و رقبته باعثة أنفاسها الحارة لتدغدغ إحساسه الذي استيقظ كمارد و معه إحساسه بالخطر ليتمدد ويتمطى و تفتح عينه و ليطلق تلك الزفرة الحارة التي حركت رماداً ضمن كانون ليظهر لهب جمر كامن

و لما كانت عليهم النشوة و خبرة فطرية في ذاك المجال سهلت عليه المهمة ليغوص و إياها في بحر ظنا أنه من عسل إلى أن احتاجا لتنشق الهواء الذي ساعدهما على استعادة ما كانا قد فقداه من ملكات و ليطغيا فوق السطح و يستسلمان لتيار بارد سحبهما إلى فجوة ضيقة بدأ طولها يقصر شيئاً فشيئاً إلى أن عم الظلام

استفاقا على قرع الباب لتدخل النادلة و هي تدفع أمامها عربة حملت عليها إفطاراً شخصياً

و من هنا بدأت قصة زواجهما السري كونهما وثقا ذلك رسمياً بعد عودتهما من السفر على أن يعلنا ذلك حين تتوفر الظروف المناسبة

و ضعت الكأس الذي كانت تمسكه بكلتا يديها مستجمعة بذلك خيالها كمظلي بدأ بلم وطي مظلته التي أقلته بأمان إلى الأرض بعد أن ألقي به من طائرة شاهقة العلو و هي تقول

-ما العمل يا وفاء بالتأكيد سيكتشف ذلك و بالأخص عند القيام بإجراءات حصر الإرث و ما شابه

ما الذي يهمني فأنا زوجته رسمياً و لكن المهم أن تبقى علاقتي بالشركة هنا قائمة

صباح اليوم الرابع صرح المحقق بإعلان النبأ رسمياً و بدفن الجثة كون ما قامت به وفاء قد كشف الأمر على الأقل هناك في الخارج و من يدري كيف ستكون طريقة اتصالاتهم و بالتالي نشرهم للنبأ لهذا السبب قرر التصريح بذلك منعاً لأية شائعة قد تغير مجرى التحقيق

هنا تنفس الصعداء كل أطراف هذه المشكلة و بالأخص أم ساهر التي أحست و كأن كابوساً قد انزاح عن كاهلها فبذلك تصبح أكثر حرية بحركتها كونها ظنت بأن الأمور انتهت عند هذا الحد كون المحقق لم يستطع أن يوجه الاتهام إلى أحد و بالتالي القضية بأكملها ستتحول إلى المحاكم و هناك الملعب واسع جداً

و قع نبأ وفاة أبي سامح على كل معارفه و هم كثر جداً وقع الصاعقة و بالأخص سهير التي كانت تبني آمالاً كبيرة على علاقتها به كونه كان قد وعدها بإنشاء شركة خاصة بها تؤمن من خلالها مستقبلها في هذا الزمن الغادر

أجريت للراحل الكبير جنازة فخمة شارك فيها رموز الاقتصاد في هذا البلد بالإضافة للعديد من رجالات الدولة الذين سبق لهم أن تعاملوا معه

عم السواد كل منازل أبي سامح التي أقيم فيها مراسم استقبال نسائية

مرت فترة العزاء بهدوء و عاد كل إلى حياته الطبيعية عدا أم ساهر التي لم تستطع استصدار أمر بفتح مقر شركتها كونها أولاً ملحقة بالشركة الأم و ثانياً لعلاقة الشركة القانونية بينها و بين شركات زوجها الراحل

في منزلها أم ساهر جلست وحيدة تفكر بكل ما حدث إلى أن قادتها ذاكرتها إلى تلك الحلقة المفقودة و المتعلقة بتلك السلسلة الفارغة من المفاتيح و التي كانت قد وجدتها في خزنة البريد

عندها قامت و طلبت سائق شركتها الخاص

- أبا سرحان احضر حالاً إلى منزلي

-حاضر سيدتي رد عليها من الجهة المقابلة

دخل المنزل بعد أن فتحت له بنفسها كونها منحت الخادمة إجازة ليتثنى لها الجلوس وحيدة و لتبادره قائلة

-هذه أليست لك و مدت الحلقة له ؟

نظر إليها بعينيه الواسعتين ليقول نعم

-أين المفاتيح التي كانت معلقة بها ؟

-لا أدري لأن سيدي أبا سامح كان قد أخذها مني قبل فترة

-ألم يكن من بينها مفاتيح السيارة ؟

-نعم هذا هو

نظرت لتجد المفتاح قد علق بحاملة أخرى

-حسناً اذهب يا أبا سرحان

-حاضر سيدتي

و بعد أن غادر اتصلت بالسيد شافع بك مستغلة فترة كانت تحسبها مريحة مستفسرة عن المفاتيح و إن كان يعلم عنها شيئاً و لأي الشركات كانت و لماذا أخذها من أبي سرحان

أجابها بأن السائق هو الوحيد الذي يعرف ذلك كونه كان يرافق أبا سامح في كل تحركاته تقريباً

-هكذا إذاً شكراً شافع بك

-نحن في الخدمة لا تنسيا

-هذا محال إن كان هناك محال

أمام منزل وفاء وقفت سيارة أجرة و نزل منها شخص بحجة إحضار أشياء من منزل قريب له

دخل غرفة البواب ليسأله عن شقة قريبة و كان يجالسه رجل مراقبة كان قد عين كحارس للبناية المقابلة غاب الرجل لفترة و غادر برفقة وفاء على وجه السرعة مستقلة سيارته الخاصة

توقفت السيارة أمام فيلا لينزل منها كل من وفاء و المرافق و يدخلان

عرف الرجل وفاء على حارس الفيلا الذي كان قد استلم عمله قبل فترة موضحاً صلتها القوية بالسيد أبي سامح رحمه الله

سمح لهما الحارس بالدخول و ذلك بناء على تعليمات سابقة

دخلت ثناء الفيلا مع السائق لتتركه في الصالة و لتصعد بمفردها إلى الطابق العلوي و لتغيب فترة و تعود و من ثم يغادران كما دخلا

بعد قليل نزل رجل من سيارة كانت تقف قبالة الفيلا و دخل الفيلا و غاب لفترة ثم عاد و كلم رئيسه ليبلغه بكل شيء أثناء ذلك كانت السيارة التي تراقب بيت وفاء قد تبعت وفاء و مرافقها إلى أن توقفا أمام مبنى فيلا شافع بك و ليدخلاها بالسيارة

غابا هناك فترة لا بأس بها و من ثم غادرا باتجاه منزلها و كانت تحمل بيدها مظروفاً و هي تدخل منزلها ليغادر السائق و بعد حوالي الساعتين عاد ليقلها في جولة واسعة على عدة أمكنة

-هذا خيط جديد قال المحقق للمعاون بعد أن تلقى آخر تقارير المراقبة

-السائق مصطفى المحمود (أبو سرحان) قالها و هو يكتب اسمه على ورقة جانبية

إذاً أمامنا مجموعة من التداخلات و التي تقودنا بدورها إلى الفيلا الشهيرة قالها وهو موجه كلامه للمعاون

-خصص لكلا الشخصين مراقبة محترمة و مجهزة بسيارة رصد تكمن قرب الفيلا

-حاضر سيدي

ما هي إلا فترة بسيطة حتى كانت سيارة شحن مغلقة ألصق على كل جوانبها إعلانات لمواد غذائية و باسم الشركة المالكة لها تقف عند رصيف حديقة مجاورة و لكن من جهة الخلف

و من مكتبه طلب المعاون مساعدة سالم و تلقى منه كل التقارير و زوده بكل التعليمات التي تنص على حصر كل اهتمامه و رجاله بمراقبة وفاء مراقبة دقيقة كونه قد تم التقاط عدة مكالمات و لأمكنة عدة صادرة عن منزلها عرف معظمها غير أن بعضها لم يعرف بعد الجهة التي تلقتها ولكن بعد قليل عرف ذاك المكان و كان يعود لشخص اسمه حسني نافع

-من تكون أيها الحسني النافع قالها المعاون لمساعده

-سيدي هو أحد الرجال المعروفين من معقبي المعاملات و له تعاملات كثيرة مع شركات ابو سامح و كذلك زوجته أم ساهر بالإضافة لكل شركات شافع بك كونه يقوم على تخليص كل ما يتعلق بتلك الشركات

-ما هذا..!؟هل يريدنا هذا الراحل أن نخصص كل عناصرنا لمراقبة أتباعه و متعلقاته؟

-خصص له من يراقبه يا سالم فقد نجد عنده ضالتنا

-حاضر سيدي

و كان أول الغيث الذي انهمر على سالم و عناصره أن المدعو حسني نافع قد حضر إلى شقة وفاء و عاد محملاً بمظروف ليقصد مباشرة فيلا شافع بك

غاب هناك لفترة و بعدها عاد إلى مقر عمله ليجري عدة مكالمات هاتفية و كان ذاك المكان يعود بملكيته لشافع بك و قد خصصه له لينجز فيه كل أعماله

-هكذا إذاً يا سيد حسني أنت من الفعالين في هذا المضمار من تكون بحق السماء قالها سالم و هو يهم ليبلغ رئيسه بتلك المستجدات

-إذاً دع الأمور تسير بشكل عادي و بالأخص فيما يتعلق بسهير كون علاقتها حتى الآن بالسيد أبي سامح لا تتعدى ما كنا قد عرفناه و بالأخص عندما علمنا بنبأ زواجه الرابع من السيدة وفاء

-حاضر سيدي و لكن فيما يخص أم ساهر و علاقتها بشافع بك ...

-ما الجديد ؟

-تتصل به يومياً

-ما فحوى تلك المكالمات؟

-أغلبها مكالمات شخصية

-أتعني بأن هناك علاقة مريبة تربطهما؟

-كل شيء ممكن سيدي

-تأكدوا من كل ذلك و لكن بشيء من الحذر و السرعة

-لماذا سيدي؟

-كي نستفيد من كل المستجدات إن حصلت

-و بقية نسائه؟

-أظن أن كلتيهما خارج نطاق الشبهة بالإضافة لأولادهما و كذلك المدعوة هدباء دعوها لحشريتها قد تفيدنا

-بقي شخص واحد غفلنا عنه حتى الآن

-من هو؟

-حارس الفيلا القديم

-نعم .. نعم أين هو الآن؟

-إنه يقيم في قريته بعد أن منحه ابو سامح مبلغاً من المال كتعويض

-استدعه فوراً لأن لديه من المعلومات الكثير

-حاضر سيدي قالها و هو يغادر نحو مكتبه

في مكتبه جلس المعاون مفكراً بكل ما مر معه حتى الآن و بعد برهة دخل أحد العناصر و في يده ملف وضعه أمامه و قال

-هذه الدراسة الاجتماعية لكل من ابو سامح و زوجاته

-هاتها

أخذها و بدأ يقلبها صفحة صفحة و كانت معظم المعلومات الواردة فيها معروفة لديه إلا أنه استوقفته سيرة حياة ابو سامح

بدأ حياته كمعلم للمرحلة الابتدائية في إحدى مدارس الشمال حيث ذاك النهر الخالد و تلك المساحات من الأراضي الخصبة و ذاك الشعب الطيب و البسيط الذي يحتضن الأشخاص القادمين بكل حفاوة و بالأخص معلمو المدارس

و كانت قد خصصت له غرفة مستقلة عن منزل كبير و كانت كل وجبات طعامه تصله في وقتها و من جهات عدة كمساعدة له من سكان القرية كي يتثنى له القيام بواجبه في تعليم أولادهم

و للمصادفة الحسنة كانت تقيم في إحدى المنازل المجاورة مدرسة أتت بدورها من مكان بعيد و كونهما مدرسين في نفس المدرسة حصل التعارف بينهما و تطور ذلك لينتهي بالزواج في عطلة الصيف و ليعودا إلى القرية زوجين و بمبادرة من مختار و وجهاء القرية تم تخصيص منزل مستقل لهما و كذلك قطعة أرض قاما بزراعتها

تطورت أمورهما المادية لدرجة سمحت لهما ببناء منزل حديث

بقيا هناك مدة خمسة أعوام استطاعا خلالها توفير مبلغ من المال مكنهما من شراء منزل متواضع في العاصمة و بما تبقى استطاع أن يؤسس شراكة مع بعض الأصدقاء كونهم بدؤوا بالتجارة العامة و لعلاقاته السابقة بأهل المنطقة تولى هو استيراد كل منتجات تلك المناطق من أصواف و ألبان و غيرها من محاصيل زراعية

و من هنا بدأ حياته و وضع قدمه في درب رجال الأعمال

استقال من التدريس ليتفرغ لإدارة شركة أسسها بمفرده و بما أنه لم يرزق من السيدة صفاء سوى بابنتين و بطلب منها تزوج ثانية من أم سامح و كانت صبية في مقتبل العمر و تصغر السيدة صفاء بعدة سنوات و لأنها من معارفها هي و أهلها رشحتها له و كان ذلك أنجبت له أولاده الثلاثة

و بعد أن تطورت أعمال الشركة و بالتالي أرباحها انتقلت الأسرة لتعيش وسط ذاك الحي الراقي و بمستوى سكانه

-لم كل هذه الزيجات أيها المنتحر العظيم !؟ لقد بدأت حياتك مع تلك الإنسانة الطيبة و التي كافحت إلى جانبك و لتوصلك إلى ما أنت فيه

قد يبرر لك الزواج الثاني كون مجتمعنا مجتمعاً ذكورياً لما للذكور من أهمية أما الثالثة و الرابعة فهما غير مبررتين

-هل كانت حياتك مع الأخريات بأفضل من السابقتين؟ لا أدري و لكن علينا متابعة كل من زوجتيه أم ساهر و وفاء و بالتأكيد ضالتنا هناك

قالها و هو يغلق الملف و ينظر إلى ذاك العنصر الذي بقي واقفاً أمامه و منتظراً

-خذ هذا و أرسل بطلب سالم يا حسن

-حاضر سيدي و هو يغادر حاملاً ذاك الملف تحت إبطه

-اسمع يا سابم علينا تضييق الدائرة حول كل من أم ساهر و وفاء

-هما تحت المراقبة الدائمة سيدي و التقارير تصلنا تباعاً

-هل سجلت سيارة الرصد أية تطورات ؟

-حتى الآن كلا

و هم يتباحثان رن حرس الهاتف ليعلم المعاون بوصول حارس الفيلا القديم

-احضره فوراً و بهدوء.. ثم أغلق السماعة و طلب من سالم الجلوس ليحضر استجواب ذاك الشخص

دخل المكتب رجل خمسيني وخلفه عنصران سلماه وغادرا وكانت علائم الارتباك بادية على كل تحركاته و كان يرتدي زياً شعبياً

-اجلس يا عم.. قالها المعاون

-أنا تحت أمرك

-قل لي يا عم كم سنة عملت حارساً للفيلا؟

-حوالي سنتين

-هل كنت تقيم بمفردك؟

-نعم لأن عائلتي في القرية

-هل كان أبو سامح يقيم في الفيلا بشكل دائم؟

-كلا سيدي – بل كان يأتي ليمضي بعض الوقت و قليلاً ما كان يبيت فيها

-هل كان يرافقه أحد أثناء ذلك؟

-في معظم الأحيان كانت تأتي معه زوجته

-أيهنّ؟

-السيدة وفاء

-و بقية زوجاته؟

-لم أشاهد أياً منهن نهائياً

-هل كانت السيدة وفاء تأتي بمفردها؟

-كثيراً

-بمفردها أم برفقة أحد؟

-في معظم الأحيان كان يرافقها أحدهم

-نساء أم رجال؟

-كلهم رجال

-أتعرف من يكونون؟

-كلا

-و من يعرفهم؟

-السائق أبو سرحان

-و هل كان يأتي برفقتها دائماً؟

-نعم تماماً

-ما الذي كانوا يفعلونه هناك؟

-لا أدري سيدي لأنه ليس من صلاحياتي دخول الفيلا إطلاقاً

-هل تستطيع التعرف على هؤلاء الرجال؟

-بكل تأكيد سيدي

-حسناً أين تقيم في المدينة إن أطلقناك الآن؟

-لي قريب يعمل جنائينيّاً في إحدى الفيلات و أستطيع أن أبيت عنده ليلتي هذه

-سجل عنوان عمل قريبك و إن كان هناك هاتف سجله أيضاً و انصرف رافقتك السلامة و لكن حذار أن يعلم أحد بما جرى بيننا اليوم و حتى قريبك هذا

-حاضر و سأكون عند حسن ظنكم

عند قريبه الذي استقبله مهللاً كونه استبشر خيراً حين رآه قادماً ظاناً أنه قد وجد عملاً جديداً و سأله

-أهلاً بك هل وجدت عملاً بعد أن صرفك الراحل أبو سامح؟

-الراحل

-ألم تسمع بأن أبا سامح قد توفي قبل أيام؟

-لا حول و لا قوة إلا بالله .. إنا لله و إنا إليه راجعون قالها محدثاً نفسه لهذا أحضروني و قاموا باستجوابي

-رحمه الله كان رجلاً طيباً و ذا سمعة حسنة

-نعم رغم أنني قد تحاملت عليه حين صرفني من العمل

-بالتأكيد كان لديه أسبابه

-ربما !

و في اليوم التالي حضرت سيارة و أخذت الحارس إلى مبنى الإدارة و هناك عرضوا عليه بعض الصور ليحدد إن كان بعضها يعود لأشخاص ترددوا إلى الفيلا و لحسن الحظ تعرف عليهم و كانوا جميعاً من مستخدمي شركات شافع بك إلا واحداً فكان من شركة الالكترونيات التي تهتم بصيانة الأجهزة الدقيقة

-الآن اذهب ياعم و لا تغادر القرية حتى نبلغك

-حاضر سيدي بإذنكم

-مع السلامة قالها المعاون و هو يتوجه إلى سالم الذي كان يقف بجانبه: ابحث لي عن ماهية هذا الشخص و أعطاه صورته

-حاضر قالها و هو يغادر

-إلى أين ستقودنا أيها المنتحر هذا مسلك آخر؟

في شركة الصيانة دخل سالم شخصياً و طلب ذاك الشخص بالاسم بعد أن استعلم عن كل تفاصيل حياته و لكونه يمتلك مكتباً للأدوات الالكترونية فهو يحتاج إليه كي يجري بعض الفحوصات للأجهزة –لبى ذاك الشخص الطلب بكل سرور – و ما أن صارا داخل السيارة حتى أعلمه سالم بالأمر معرفاً عن نفسه

و في مقر الإدارة استمع كل من المعاون و سالم لأقوال ذاك الغني و الذي أبلغ عن وجود أجهزة حاسوب و عدة خطوط للشبكة العالمية و كذلك أجهزة تنصت و التقاط و غيرها من أجهزة حساسة

-ألم تعرف الغاية من وجودها هناك؟

-قالوا لي أن هذه الفيلا تعود لجهة مهمة ورسمية في البلد و إن هذه الأجهزة للرصد

و لم أقم بإبلاغ أصحاب شركة الصيانة بهذا الأمر كونهم حذروني من ذلك

-أين توجد تلك الأجهزة؟

-في سقيفة الطابق الثاني بالقرب من خزانات المياه

-هل منحوك مكافأة مجزية؟

-نعم منحوني مبلغاً كبيراً زيادة عن أجرة عملي كي لا أبوح بذلك

-خذه يا سالم و دون أقواله و احتفظ به ريثما ننهي ما بين أيدينا

-حاضر سيدي رافقني من فضلك

دخلت وفاء برفقة السائق و معها شخص آخر الفيلا و بعد قليل رصدت السيارة عدة إشارات حددت جهاتها و كانت آتية من عدة أماكن حساسة في هذه المدينة

أبلغ المعاون بذلك

و عندها و على وجه السرعة نقلها لرئيسه الذي قام بإرسال أشخاص متخصصين إلى تلك المواقع إلا أنهم لم يتوصلوا لشيء

و هم في إحدى تلك المواقع رصد جهاز الالتقاط إشارات قريبة حدد المكان و بالتالي الشخص و كان مصدرها ساعة يد

و بعد السؤال علموا أن مصدرها السيد أبو سامح و منه علموا بأن مثلها قد وزع كهدايا لشخصيات عدة في هذا البلد و بعد فحص الساعة تبين أنها تحوي عدسة صغيرة الحجم ركبت مكان نتوء برغي التعيير بالإضافة لجهاز التقاط ضمن الساعة يستطيع نقل أدنى و أخفض الأصوات

تم استدعاء كل الأشخاص الذين كانوا قد تلقوا تلك الهدايا و تم استرجاعها و بنفس الوقت كانت مجموعة متخصصة تضبط السيدة وفاء و كلاً من السائق و ذاك الشخص و تم مصادرة كل الأجهزة التي أبقيت مكانها ليديرها أشخاص مدربون ليتم التقاط إشارات أخرى إن كان هناك إشارات

تم رصد إشارات و كان مصدرها فيلا شافع بك

وضع شافع بك و كل أعماله تحت المراقبة الشديدة مع التكتم على إلقاء القبض على وفاء و كل من السائق و مرافقها و التي اعترفت بارتباطها بشبكة معلومات خارجية مقرها قبرص وتعمل تحت ستار تلك الشركة المصدرة للأجهزة الالكترونية الدقيقة و التي لها فروع عدة موزعة على دول مختلفة في المنطقة

و عن طريق فريق بحث متخصص عثر على مكان مموه يستخدم مخبأً سرياً حوى بداخله أشياء عدة أهمها دفتر صغير الحجم كتب على صفحته الأولى كلمة حياتي

و من خلال الإطلاع عليها تبين أنها عبارة عن مذكرات شخصية كتبت بطريقة مغايرة لكل ما مر قبلاً من مذكرات شخصية كونها كتبت بدقة متناهية لتفاصيل حياته و بالأخص السنوات العشر الأخيرة من حياته

و كيف تم استغلاله من قبل المسؤولين عن تلك الشركة بالتآمر مع زوجته الرابعة وفاء و الأهم من كل هذا كيفية كشفه لذلك

نتيجة لشكه بتصرفاتها و بالأخص في الفترة الأخيرة عندما تكررت سفراتها إلى الخارج و بالأخص إلى قبرص و رغم كل ما كانت تقدمه من تبريرات إلا أنه ثابر في شكه لأجل ذلك بدأ يبحث في كل ما تقوم به حتى و إن بدا تافهاً

و ما أكد ظنونه تلك ترددها على الفيلا بمفردها أو بصحبة رجال آخرين

في بادئ الأمر ظن أن الأمر لا يعدو كونه لقاء عاطفياً و لحافز داخلي قرر مراقبة كل خطوط الهاتف و بالأخص هواتف الفيلا

و لينفذ ذلك قرر الاستعانة بمكتب صيانة الكتروني يثق به و كلفه بتركيب أجهزة تسجيل على كل خطوط الهاتف و وضعها في ذاك المكان الذي تم اكتشافه مؤخراً و دون أن يعلم الحارس بذلك كونه كان قد كلفه بعمل يبعده عن الفيلا لساعات تمكن خلالها فتح قفل باب الفيلا الخلفي و أغلقه ليتم فتحه بسهولة عندما يريد

صباحاً دخل الفيلا سراً من الباب الخلفي و تسلل داخلاً و اختبأ ثم ما لبثت وفاء أن دخلت الفيلا برفقة شخص علم من متابعته له أنه عنصر صيانة أجهزة و من وقتها تعرف على مكان وجود الأجهزة التي تم ضبطها

و للمصادفة كان قد خلع ساعة يده و أبقاها ضمن درج الطاولة التي جلست خلفها وفاء

اقترب من المكان لدرجة صار بإمكانه مشاهدة ما يحدث و كل ما يظهر على شاشات الأجهزة

صدم بما رآه و وقتها عرف مغزى وجود تلك الأجهزة و تعرف على الأماكن التي بثت منها تلك الصور كونه كان قد زارها كلها عندما كان يقوم بتزويد تلك الجهات بالأجهزة و المعدات و كذلك قطع الغيار التابعة لها – سأل نفسه كيف يتم رصد تلك المواقع من هذا المكان إلا أنه و بشيء من التدقيق تبين له أن الصور و الأصوات تنتقل بشكل سريع و عشوائي و من خلال عملية ربط ذهني تمكن من وضع تصور بأن هذه الأجهزة بالتأكيد مثبتة على أجساد هؤلاء الأشخاص أو بالأحرى على جسد أحدهم

رغم كل ذلك بقي الأمر غامضاً بالنسبة له إلى أن عاد إلى مكتبه ضمن الفيلا بعد أن غادرت وفاء و مرافقيها بعد أن أوقفوا كل تلك الأجهزة

عاود التفكير بكل ما حصل إلا أنه لم يتوصل لشيء و قد قرر أن يتابع الأمر بدقة و بشكل شخصي كونه فرغ نفسه لذلك استأجر سيارة من مكتب تأجير السيارات باسم أحد رجاله المخلصين و صار يتابع زوجته في كل تحركاتها مكتشفاً خلال ذلك علاقتها بشركة شافع بك و كذلك علاقاتها بأولئك الأشخاص المشبوهين كما أنه قد اكتشف و بطريق الصدفة علاقة زوجته أم ساهر و لقاءاتها السرية و المنفردة مع شافع بك و بالأخص في تلك الشقة غير معروفة بالنسبة له إلا أنه لم يكتشف شيئاً سوى اتصالات قامت بها وفاء مع مقر الشركة في قبرص

لأجل ذلك عمد إلى متابعة الأمر إلى أن توصل لحقيقة شبه ثابتة بأن مقر تلك الشبكة هو قبرص عندها قرر زيارة ذاك المكان و لينجز ما أراد عمل على ابتكار حجة تبرر تلك الزيارة و لم يبلغ وفاء إلا في آخر لحظة و قبل سفره بقليل الأمر الذي أثار حفيظتها , إلا أنها و بعد الاتصال بمقر الشركة اطمأنت إلى أن كل شيء سيكون ضمن الحدود كون تصرفات زوجها حتى الآن لا تثير الشكوك

– و لهذا اهدئي و تابعي مهماتك.. هكذا بلغت

في مقر الشركة استقبله ذاك المدير الماكر بكل بشاشة مستفسراً عن صحته و حسن سير أعماله التجارية و كذلك عائلته كونه على علاقة وثيقة بالسيدة وفاء

إلا أنه توقف عند شيء قاله المدير في سياق حديثه و هو عندما سأله عن ساعة يده التي كان قد أهداه إياها عندما وقع آخر صفقة معه

برر له ذلك أنه قد نسيها في درج مكتبه و كون سفرته هذه مفاجئة لم يفطن لها

لم يعجب المدير ذاك الرد لأنه مط شفته ازدراء و بعد أن غادر أبو سامح طلب المدير وفاء و أبلغها بوجوب حضورها إلى قبرص فوراً قصد أبو سامح قاعة الكافيتريا الخاصة بتلك الشركة و طلب شيئاً يشربه أثناء ذلك شاهد شخصين ارتاب لمرآهما يمران بالقرب منه و يقصدان الجهة التي يقبع فيها مكتب المدير

غابا داخل المكتب لدقائق ثم غادراه و من خلال النافذة المطلة على مدخل الشركة رآهما يركبان سيارة سوداء قام السائق بفتح الباب لهما و كان يضع على مؤخرة رأسه قلنسوة دائرية صغيرة

هنا زادت شكوكه الأمر الذي دفعه لكشف كل الخفايا و لما للمال من تأثير و بالأخص على أولئك المستخدمين الصغار عرف لأية جهة تعود تلك السيارة

و هنا عاد للوطن ليتابع الأمر من هناك

فور وصوله فتش عن ساعته ليجدها في درج المكتب ضمن الفيلا حملها و قصد ذاك المكان المخفي مستغلاً سفر وفاء إلى قبرص و التي كانت قد بررته بأنها ستحضر توقيع عقود هامة بين الشركة الأم و بعض الشركات الأخرى و لأنه يريد إبعادها قليلاً مرر الأمر بشكل عادي

شغل الأجهزة و أثناء ذلك اكتشف أنها تنقل صوراً للمكان الذي يقف منه دقق قليلاً ليكتشف بأن الساعة التي يحملها بيده هي مصدر تلك الإشارات

حركها ليتأكد و كان له ذلك تفحصها جيداً و أثناء ذلك اكتشف تلك العدسة

و مباشرة أوقف كل الأجهزة و غادر قاصداً إحدى الشركات التي تستورد و توزع تلك الماركة من الساعات – و اشتر عدداً منها و قام بزيارة تلك المواقع التي كان قد أهدى لمسؤليها بعضها

استبدل الساعات إلا أنه لم يتمكن من إنهاء الأمر كون عدد ممن أهداهم تلك الساعات كان قد غادر تلك المواقع إما بإجازة داخلية أو خارجية مبرراً لكل من قابلهم بأن النوعية التي أحضرها معه أفضل و أكثر دقة

وضع كل الساعات التي استردها ضمن علبة و أخفاها خلف منظم الحاسوب ثم قام بتشغيل تلك الأجهزة بعد أن مسح كل ما كان قد سجل من قبل و كان خطيراً و غادر الفيلا قاصداً منزله و كله أمل بأن يعود أولئك المجازون قريباً

صباحاً حضر إلى الفيلا و قام بصرف الحارس بعد أن نقده من المال ما يكفيه لفترة لا بأس فيها يكون خلالها قد أمن عملاً آخر و عين مكانه شخصاً آخر من أتباعه المخلصين و الذي أحضره من إحدى مستودعات الشركة

ثم استرد نسخة المفاتيح من السائق بحجة أنها تلزمه لكنه قد فاته بأن ذاك السائق الخبيث قد نسخ عنها مجموعة إضافية تحسباً للطوارئ

و في اليوم التالي قرر زيارة المقر الأساسي لمؤسسة شافع بك بحجة ترتيب لقاء يضمه و مجموعة من مدراء الشركات لبحث آخر المستجدات و أثناء ذلك شغل ساعته في محاولة منه التقاط أكبر عدد من المشاهد

و بعد أن نال مراده غادر على أن يكون اللقاء في الفيلا في نفس اليوم مساء

سره الأمر كونه تمكن أثناء تلك الزيارة من تحويل اللقاء إلى حفلة سمر تطورت إلى حفلة راقصة تجول خلالها ضمن أرجاء الفيلا مستغلاً انشغال الجميع كل في لذته مستطلعاً خفايا ذاك المكان

و بعد أن عاد دخل الفيلا و شاهد ما كانت ساعته قد بثته من صور و أصوات

لفت انتباهه هوائي كان مثبتاً بشكل مخفي في إحدى الزوايا المنكسرة من سقف الفيلا و عندها صار على شبه يقين من أن تلك الفيلا إن لم تكن المقر الرئيسي فإنها إحدى أهم المقرات

قرر استمالة بعض المستخدمين هناك و بأسلوب بسيط مستدرجاً إياهم لمعرفة كل خفايا ذاك المكان

أكدوا له وجود بعض الأقبية و بعض السقائف على سطح الفيلا ومن المحظور عليهم الاقتراب منها كونها تحوي أشياء سرية و هامة تخص الشركة و مشاريعها

و من الحارس الأقدم في هذه الفيلا تعرف إلى اسم الشخص الذي أنيطت به مهمة دخول هذا المكان و كان من أقرب مساعدي شافع بك

وضع ذاك الشخص تحت المراقبة كونه صار شغله الشاغل هو و كل تحركاته

و ما شد انتباهه تردده إلى الفيلا و سؤاله عن السيدة وفاء لأجل هذه صار هدفه آملاً أن يكتشف من خلاله سر هذه القضية

أثناء ذلك تم الاستعلام من مقر الشركة عن مكان وفاء كون الأجهزة لم تعد ترسل شيئاً و كان الجواب بأن السيدة وفاء ضمن الأراضي القبرصية لذلك تم إرسال فريق ليتبين الأمر و

كانت مفاجأة أبي سامح الكبرى بأن رأى كلا الشخصين اللذين رآهما في قبرص يدخلان فيلا شافع بك بعد أن أقلتهما سيارة خاصة بالشركة من أرض المطار

عندها تأكد تماماً من شكوكه لذا قرر توجيه كل الخيوط إلى شركة شافع بك و كل مساعديه

و من خلال تلك المذكرات و تلك الساعة سأبدأ بوضع كل شيء في مكان يسهل على أجهزة الأمن هنا في بلدي اكتشافها و سأضع ورقة فيها أرقام هواتف هامة ضمن الحزام و الذي بدوره سأضعه ضمن صندوق بريدي الخاص مع بقية أشيائي لنقع تلك الخائنة

كما أنني قد وضعت بعض الأشياء الهامة في مخبأ سري صنعته في ظهر الخزانة القابعة في غرفة نومي في شقتي الخاصة و من ضمنها ماسة كانت قد أرسلت لوفاء من قبل ذاك المدير الماكر عن طريق أحد مساعديه الذي قام بشرائها من إحدى محلات الصناعة هنا

و لا أخفي سراً أن من أهم الأسباب التي حفزتني و أثارت شكوكي تلك الجوهرة و لكن لا لن أدع ذلك يمر هكذا

لذلك قررت أن أنهي هذه المهزلة في تلك الشقة و التي لا تعرف بمكانها سوى زوجتي أم ساهر لتكون أول الساقطين في هذا الشرك الذي أظن بأنني قطبته بإحكام و كذلك كتبت وصية خاصة بي و وضعتها ضمن الإطار الخارجي لجهاز التلفاز الموجود في صدر صالة تلك الشقة و قد ضمنتها كل التفاصيل و أدقها بالأسماء و الأزمان مع الأدلة راجياً أن أكون قد برأت نفسي أمام نفسي أولاً ثم أمام بلدي و أمام مبادئي ثالثاً

ذهب المعاون و بتكليف من المحقق ليستحصل على إذن دخول الشقة من قبل النائب العام و بكل بساطة تم سحب تلك الورقة الشهيرة و بدأ بقراءتها أثناء عودته وكان دهشته حين لمس دقته و غزارة المعلومات و الأسماء التي تم ذكرها و كذلك الأماكن

و هذا تماماً ما حدث للمحقق ومعاونه حين قرأا تلك العبارة التي أحيت في نفسيهما كل حس بالكرامة و العزة و التعلق بالوطن و التي كانت (خسئتم أنا لست كذلك وسأجبركم على طي مخالبكم إلى الأبد)

تمت في 11 آذار 2009